

فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمد مبرور

العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري



العالم العابد العارف بالله
ذو النون المصري

- الناشر : دار الرشاد
العنوان : ١٤ شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : ٣٩٣٤٦٠٥
رقم الإيداع : ٢٠٨٩٦ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : 4 - 009 - 364 - 977
الطبع : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ١٠ ، ٧ ش السلام - أرض اللواء - المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣
الجمع : أرمس
العنوان : ٣٢ شارع على عبد اللطيف مجلس الأمة - القاهرة
تليفون : ٧٩٦٤٤٠٤
- جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة**
- الطبعة الثانية : ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م (الأولى للدار)
مراجعة : محمد دياب
الغلاف : وائل حمدان
خطوط : لمص فهد

فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمد موقر

العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

(سورة الكهف : ١٠)

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

(سورة البقرة : ٢٨٦)

يَا رَبُّ

كَيْفَ لَا ابْتِهَاجُ بِكَ سُرُوراً
وَقَدْ كُنْتُ أَكْدَحُ بِبَابِكَ حَتَّى
جَعَلْتَنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ ؟ ..

« دُو النُّون »

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن المراجع الأساسية التي رجعت إليها عن ذى النون ، مراجع محدودة، إنها :

- ١ - السر المكنون فى مناقب ذى النون للإمام السيوطى .
 - ٢ - حلية الأولياء لأبى نعيم .
 - ٣ - الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى .
 - ٤ - طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى .
 - ٥ - الكواكب الدرية للمناوى .
 - ٦ - مجموعة ما ترجم عن المستشرق نيكلسون .
- ثم يأتى بعد ذلك ما هو طبيعى لكل باحث : نص من هنا أو نص من هناك ، واستشارة لهذا الكتاب أو ذاك ، وكشف فى معجم من المعاجم أو فى أحد التفاسير .
- هذه المراجع التى رجعت إليها هى المراجع الموجودة عن ذى النون ، ورجوعى إليها وحدها لم يكن عن تقصير فى البحث أو التنقيب ، وإنما كان لأنها هى فقط الموجودة .
- ومع قلة هذه المراجع فإننى لم أشعر بأننى فى حاجة إلى غيرها ، لقد كانت كافية بالنسبة إلى الهدف الذى كان أمامى .

إننى لم أكتب - وما أردت - عن ذى النون : رسالة دكتوراه ،
ولا بحثاً أكاديمياً ، وإنما أحببت ذا النون ، فأحببت أن أكتب عنه
لأشرك غيرى فى حبه ، وإن من حق ذى النون علينا أن نعرفه وأن
نعرف به . . إنه عالم ، وهو صوفى ، وهو رجل أخلاق ، وهو عبقرية
من العبقریات ، ثم هو مصرى .

ولقد أحببته منذ اللحظات الأولى للقراءة عنه .
لقد كان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات حينما طلبت إلى الإذاعة -
إذ ذاك - أن أكتب المادة التاريخية العلمية عن ذى النون لتتخذ من
ذلك أساساً لتمثيلية عنه .

وعشت مع ذى النون فترة قصيرة ولكنها كانت نفيسة .
لقد عشت معه فى سياحاته الكثيرة الممتعة ، وقد كان كثير
الأسفار ، وهو يقص بعض ما حدث له من مقابلات فيها الغرائب
وفى العظات والعبر .

وعشت معه فى محنته ، وليس أمر المحن ببعيد عن ذوى
العبقریات .

إن الجمهور لا يمكن أن يرقى إلى مستوى العباقرة ، والعباقرة
لا يمكنهم أن يجاروا الجمهور فى مآلوفاته .

والعالم يتغير من حال إلى حال بسبب هذا الصراع بين العباقرة
والجمهور ، ولكن الجمهور يألف شيئاً فشيئاً بعض أفكار العباقرة ،
ثم يأخذها عادات له ، ولكنها هى نفسها تكون منطلقاً لعباقرة يأتون
فيحدثون تغييراً ترفضه الجماهير ثم تألفه شيئاً فشيئاً ، وهكذا
دواليك .

ولقد امتُحن ذو النون وصبر على المحنة التي اعتبرها منحة ؛ لقد صبر عليها صبر الراضين الحامدين الذين يرون أن كل ما يأتي به المحبوب محبوب ، والمحبوب هنا هو الله .

وخرج ذو النون من محنته بخروج الراضين الحامدين أيضاً ، فالأمر منه وإليه .

وعشت مع ذى النون متلمذاً على روح صافية ترى الأمور بمنظار الربانيين . . وإن للربانيين نظرة بعيدة كل البعد عن نظرة غيرهم . إنها نظرة هؤلاء الذين وصلوا إلى :

« كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا » .

وهذه النظرة التي تكون نتيجة لجهاد النفس طويلاً حتى تتزكى وتصفو ، يهبها الله تعالى منحتين :

* إحداهما :

« وَإِنْ سَأَلْنِي لِأَعْطِيَنَّهُ » .

* والثانية :

« وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ » .

بيد أن هذه النفوس الربانية وصلت إلى درجة لا تسأل فيها إلا سؤال عبادة .

إنها أيقنت بحكمة ربها ، وبرحمته ، فرضيت بشمار الحكمة والرحمة ، وألفت بمقاليدها إلى الحكيم الرحمن .

ولكنه سبحانه قال :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (١).

وهم يسألونه القرب وهو قريب ، إنهم يسألونه زيادة القرب ، وليس لزيادة القرب نهاية ، وهناك باستمرار قرب هو أقرب مما يسقه من قرب

إنه سبحانه يقول :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٢)
وهذا القرب هو أملهم ، كل أملهم .

وهم يستعيدون به استعادة عبادة ، وذلك أنه سبحانه - أمر بالاستعادة :

﴿وَأَمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣)
ولكن هؤلاء قد وصلوا إلى الدرجة التي يقول سبحانه عنها :
﴿إِنِّ عِبَادِي لَئْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤).
والتي يقول الشيطان نفسه عنها :
﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٥).

(٣) سورة الأعراف ٢٠٠

(٥) سورة الحجر : ٤٠ .

(٢ ، ١) سورة البقرة : ١٨٦

(٤) سورة الحجر : ٤٢ .

أما غير الشيطان فإنهم لا يروهم في حقيقة، وهل يرى هؤلاء مع الله أحداً. انظر إليه سبحانه وتعالى يقول .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

إن الله . سبحانه . يملك الكيف ، والكم ، والرمز ، والمكان ، والحركة ، والخلق ، ولأمر ، ويملك القوة ، والجاه ، والمال ، والدكاء ، والأنفاس ، ولنصر في عين ، والسمع في الأذن ، ويملك نصبات القلب ، وهمسات القواد .

وهو سبحانه . كما يملك هبة ذلك إلى من يشاء . يملك نزعه ممن يشاء . إنه . إليه يرجع الأمر كله يقول سبحانه .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) ﴾ (٢) .
﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) ﴾ (٣)

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) ﴾ (٤)

(١) سورة ال عمران : ٢٦

(٢) سورة الواقعة : ٥٨ ، ٥٩

(٣) سورة الواقعة : ٦٣ - ٦٥ .

(٤) سورة الواقعة : ٧٢ - ٦٨

ويقول سبحانه :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبَا وَقَضَا (٢٨) وَزَيَّلْنَا وَتَغْلَا (٢٩) وَحَدَّثْنَا غُلًّا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ (٣٢) ﴾ (١).

ويقول سبحانه :

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

ويقول تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٣).

ويقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَعَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٤).

إنه الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وإليه يرجع الأمر كله، ولا حول ولا قوة إلا به .

(٢) سورة الأنفال : ١٧ .

(٤) سورة النور : ٤٣ .

(١) سورة عَمَس : ٣٢-٢٤ .

(٣) سورة السجدة : ٢٧ .

وانظر إلى حديث ابن عباس حينما قال له رسول الله ﷺ :

« يا غلام، إني أعلمك كلمات. احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (١).

وفي رواية :

« احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً ».

إن هذا الحديث العجيب النفيس الفاحر، هو من شعارات الربانيين :

إيهم حفظوا الله فاطمأنوا إلى حفظه لهم، وأنه تجاههم .
وتعرفوا إلى الله في الرخاء فاطمأنوا إلى تعرفه لهم في الشدة،
وكانوا له فكان لهم .

إيهم لا يرون معه سبحانه أحداً هي التصريف : وهل معه أحد ؟

تأمل بربك هذه الآيات :

(١) رواه الترمذي وقدر. حديث حسن صحيح

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ
 (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ
 حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُهُ مُعِ اللّٰهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
 يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ
 وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُهُ مُعِ اللّٰهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ
 يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُهُ مُعِ
 اللّٰهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ
 الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهُهُ مُعِ اللّٰهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُهُ مُعِ اللّٰهُ قُلْ هَاتُوا
 بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١)

إن ذا النون كان من هؤلاء ، ومن أجل ذلك اعتبر محنته مسحة ،
 إنه ما كان يشعر - طيلة محنته - إلا بالمعية ، وكان يأنس - في محنته -
 بالمعية .

إلام توصله هذه المعية ؟ . إلى خير بلا شك ، إلى خير أسمى ،
 أو إلى قُرب أقرب ، إنه مغتبط بمحنته .

لقد عشت معه فيها مع بكرة الأحبار عنها .
 وعشت معه أرافقه في محالاته العلمية .

وكما حاهد دو النون حتى تركت نفسه ، فقد حاهد أيضاً في سبيل المعرفة : المعرفة في مجالين على الخصوص ، وأعترف - في تواضع لا أشكر عليه - أسي سم أستصع - وقد حاولت - أن أجاريه في أحد هذين المجالين ، وهو مجال الكيمياء ..

لقد حاولت أن أفهمه في هذا المجال فما استطعت إلى ذلك سبيلاً .
ويذكر ابن القفطي أن دا النون اشتغل بالكيمياء ، ويرى أنه وصل في الكيمياء إلى أن كان من طبقة حارس حيان فيها ، ويبدو أنه عالِم الكيمياء على الطريقة الروحية ، كما عالجها على الطريقة العلمية الحديثة ، وكما أجرى لتحارب من الجانب المادي فإنه أجراها من الجانب الروحي .

إن بيكلسون يقول :

«ومن ار جح أن ذا النون امصري كان يستخدم الأدعية ، ويستعمل البحور ، أو على الأقل كان يفعل ذلك ، كما أخبرنا رجل زاره يوماً فرأى بين يديه طستاً من ذهب وحوته الدُّ والعتبر يُسحر ، فصاح به دو النون قائلاً :

« هل أنت ممن يدخلُ على الملوك في حل بسطهم » .

وإن لدى النون رسائل في الكيمياء موجود بعضها في دار الكتب المصرية .

أما المجال الثاني فهو مجال العلم الروحي

وما من شك فى أن وصول دى النون إلى الصفاء والنقاء والظهر ،
أدى به إلى الثمار الشهية من الإلهام المضىء ، الذى يعبر عنه فى
سهولة ويسر .

وهذا الجانب هو الذى سرت معه فيه ، فكان نبراساً جميلاً نهتدى
به ، ونحب أن نهتدى إليه ، إنه يتصل بالتفسير الكريم ، وشرح
الأحاديث الشريفة ، والسير على سق الرسول ﷺ ، وعلى سق
المهتدين من الصحابة والتابعين .

ومن هنا كان حبى لذى النون ، وتقديرى له وكتابتى عنه ، وأرجو
من الله التوفيق والهداية .

حياته

إنه أبو القبط ذو النون بن إبراهيم المصري..
يقول عنه صاحب «الكواكب الدرية» :

« العارف الناطق بالحقائق ، الفاتق للطرائق ، ذو العبارات
الوثيقة ، والإشارات الدقيقة ، والصفات الكاملة ، والتفصيل العاملة
العاملة ، والهمم الحليّة ، والطريقة المرضيّة ، والمحاسن الحزيلة
المتّبعة ، والأفعال والأقوال التي لا تحصى منها تبعة ، زهت به مصر
وديرها ، وأشرق سوره ليها ونهارها » (١) .

ويقولون في وصفه :

« كان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة » .

* كيف كان ذو النون في طفولته وشبابه ؟ ..

في ذلك يقول يوسف بن الحسين :

ستأنست بذى النون ، فقلت له :

أيها الشيخ : ما كان بدء شأنك ؟

قال :

« كنت شاباً صاحب لهو ولعب » .

ونحب أن نقف ونقول أولاً : إنه كان يعيش الحياة العادية

للشبان لا لعباً ون بوقت عمر لا يشغلونه مما يفيد ، ولا تعنى الكلمة أنه
كان عاصياً سيئ الأخلاق ، لأنه يقول بعد ذلك :

(١) الكواكب الدرية ص ٢٢٣ .

« وخرجتُ حاجاً إلى بيت الله الحرام » .

ثم يقول :

« ومعى بضعة في المركب مع تجار من مصر » .

وهذه الكلمة الأخيرة ، قد ترشد إلى أنه اشتغل في شبابه بالتجارة .

ويبدو أن هذه الحجة كنت الأساس في اتجاهه إلى الله والواقع أن الحح من الوسائل الكبرى للتوبة الصادقة والإحلاص والصدق ، وأن أعمال الحح منذ أن تبدأ بالتوبة ، ولبس الملابس ليضاء - ملابس غير مخيطة لم يدخلها المقص ، ولم تعمس فيها المرأة ، ولم تُدنس بالدنوب - وصلاة ركعتين مع لنية التي تتحه إلى الله في العون والمثوبة ، ثم الجهر بالتلبية : « أي : الاستجابة الخالصة لله في أعماله ، ثم بقية الأعمال التي تنتهي برجم مصدر الشر - إبليس - ثم الطواف على طهر وبقاء . . .

إن كل ذلك فيما أفترض هو مبدأ تحول ذي النون .

إنني أفترض - إذن - أن هذا الحح كان من العوامل المهمة في حياة ذي النون ، وأنه فصل فيها بين مرحلتين .

* إحداهما : المرحلة العادية الأولى .

* والثانية : هي مرحلة التزكية .

ومع ذلك فهناك محال لاحتمالات أخرى . . وهذه الاحتمالات نأخذها على أنها رمزية حميلة في رمزياتها ، أو نأخذها على أنها حقيقة عجيبة في وصفها .

أحد هذه الاحتمالات : ما روى من أنه سئل عن سبب توبته .

فقال

« خرجتُ من مصر لبعض القرى ، فنمت في الطريق في بعض الصحارى ، ففتحت عيني ، فإذا بقبْرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض ، فانشقت الأرض ، فخرج منها سكرجستان : إحداهما ذهب ، والأخرى فضة . وفي إحداهما سمسم ، والأخرى ماء ، فجعلتُ تأكل من هذه ، وتشرب من هذه ؛ فقلتُ : حسبي ، قد تبتُ ، ولزمتُ الباب إلى أن قبِلْنِي » (١) .

هذه هي قصة الاحتمال الثاني .

وما من شك في أن الرزق مضمون ، وأن الله سبحانه قد ضمن الرزق :

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢) .

ثم يقسم الله تعالى على ذلك فيقول :

﴿فَرَوِّبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (٣) .

ويقول سبحانه :

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (٤) .

(٢) سورة الداربات ٢٢

(٤) سورة هود : ٦

(١) حليه الأولياء لأبي يعين

(٣) سورة الداريات : ٢٣ .

وهذه القصة التى تُروى على لسان ذى النون أهى قصة رمزية أراد بها ذو النون أن يوضح عناية الله بمخلوقاته ، ورحمته بهم ، ورعايته لهم ، وهو سبحانه الرحيم الودود ، البرءوف الرحيم ، أرحم الراحمين ، وخير الكرماء ؟

أم هى قصة حقيقية وأن لله تعالى عجائب فى الكون تظهر لذوى البصيرة ، لا يعدها عد ، ولا تحدّها حدود ؟ . . .
وليست القصة بمستحيّلة ، وإنها لفى غاية الجمال فى الدلالة على حميل عناية الله بمخلوقاته

واحتمال ثالث: يقول صاحب «الكواكب الدرية» عن ذى النون .
وكان اسمه ثوبان بن إبراهيم، وقيل الفيض ، وأصله من النوبة ،
ثم نزل إخميم ، فأقام بها ، فسمع يوماً صوت لهُو ودفاف
فقال :

ما هذا ؟

فيل : عرس .

وسمع بجانبه بكاء وصياحاً .

فقال :

ما هذا ؟

فقيل : فلان مات .

فقال .

« أعطى هؤلاء فما شكروا ، وابتلى هؤلاء فما صبروا » . . . وأقسم
أن لا يبيت بالبلد ، فخرج فوراً إلى مصر فقطنها

وهذه فى الواقع قصة عادية تحدث كل يوم . . ويمر بها الناس فلا تشر فى نفوسهم شيئاً .

ومع ذلك ، فإنها عبرة للذين هياً الله نفوسهم للتأمل فى عبر الحياة حينما تمر بهم ، واخياة مليئة بالعبر ، يمر بها قوم فلا يلتفتون إليها ، ويمر بها آخرون ففكرون ويتأملون ويدخلون فى نطق من يقول الله تعالى فيهم :

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١).

لقد هياً الله نفس ذى النور فى تلك الساعة ، فأثرت فيه عبرة الحياة ، فكانت الهداية .

وهذه الاحتمالات لا ينفى بعضها بعضاً ، ومن الممكن أن تكون قد تكاثفت وتعاونت ، فانتهت به إلى التأثير فى جميع أقطار نفسه ، فتأب وأتاب وسلك الطريق

ثم إنها لا تنفى احتمالاً رابعاً له قيمته الكبرى فى نظرنا ، وذلك أن صاحب « الحلية » يقول : « وكن شيخه فى الطريق شقران العابد » . هل كان شقران أساس هدايته ؟ . . هل تلقاه قبل أن تتحول به الحياة من طريق إلى طريق ؟ . . فكان الوجه له ، والمرشد له بعد الحج ؟

(١) سورة آل عمران : ١٩١ .

أم تلقَّه وهو في حيرة يتحسس الطريق حتى يسير أما مطمئناً؟
- إنها احتمالات كلها ممكنة .

ولعلها جمعاً تعاونت فأحرحت لنا ذا النون المصري ، رضوان الله عليه .

ومهما يكن من شيء . . . فإننا نرى أن توبة ذي النون إنما بدأت برحلته هذه إلى لحج ، ويبدو أنه أحلص النية في هذا الحج فرجع منه كيوم ولدته أمه .

ورسول الله ﷺ يقول

«مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» .

ورسول الله ﷺ يتناسق مع القرآن الكريم في هذا إذ يقول الله تعالى :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ

وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (١)

وارفث : فحش اللسد ، والفسوق : فحش الخوارح ، والجidal : الزاع والمشاحنة .

إن ذا النون تأثر - لا شك - بالحج ، وهو حينما يتحدث عن هذه الحجة الأولى يتحدث معها عم شاهده فيها من تجليات لله على بعض عباده ، وأن ذلك أثر في نفسه .

بيد أن العامل الحاسم في حياة ذي النون إنما هو لقاءه - « شقران

العايد »

(١) سورة البقرة : ١٩٧ .

وكان شقران شخصية ممتازة قوية ، وإن كما لم نعثر له على كتب أو
ترجمة مستفيضة ، ولكن الإمام الشعراني يقول عنه
«شقران المغربي العابد. شيخ ذى الورد المصرى. عارفٌ طَهَّرَ
ضياؤه، وطابَ ذكرُهُ وثناؤه، كان ذا أحوال باهرة، ومقامات
فاخرة»

ومن كلامه :

« إن لله عباداً خرجوا إليه بإخلاصهم ، وشمُّروا إليه بنظافة
إسرارهم، فأقاموا على صفاء المعاملة، وبادروا إلى استماع كلامه
بحضور أفهامهم، فعند ذلك نظر إليهم بعين الملاحظة فأجزل لهم
المواهب، وحُقَّتْ لهم منه إعطايها، فشَمُّوا روائح القرب من قريبه ،
وهبَّتْ عليهم رياح اللقاء من تحت عرشه، فتطايرت أرواح قلوبهم
إلى ذلك الروح العظيم ، ثم نادى : لا يَراح . »
وقال :

« ألا خُلُّ خدوم ؟

.. ألا صديقٌ يدوم ؟

.. ألا حليفٌ ودا ؟

.. ألا صحيحٌ اعتقاد ؟

.. أين من استراحَ قلبه بحب الله ؟

.. أين من ظهرَ على جوارحه نور خدمة الله ؟

.. أين من عرفَ الطريق ؟

.. أين من نظرَ بالتحقيق ؟

.. أين من سقى فباح ؟

.. أين من بكى وناح ؟

- أولئك تحف بهم الملائكة بالليل والنهار وتسلم عليهم الحيتان
من البحار .

ومن كراماته :

أنه أراد ليلة أن يغتسل فلم يجد ماء ، فلحظ إلى السماء وقال .
« اللهم قد عجزت عن الماء ، وانقطع رجائي من غيرك ، فاعطف
على قلة حبلتي ، فسمع وقع الماء في الإناء فقام إليه فوجده بارداً ،
فحرك شفتيه فإذا به قد سخن ... » .

« وقد مات بمصر ودفن بالقرافة بقرب قبر عتبة » . . . اهـ .

- أين التقى به ذو النون ؟ وكيف أخذ العهد عليه ؟

- وما هي الكيفية التي رسمها له ليسير في معراجه إلى الله ؟
كل هذه أسئلة لا نجد لها جواباً من التاريخ ، ولكنها أسئلة ليست
بحوهرية في موضوعنا ، ذلك أن الطريق الذي يرسمه الشيخ - ك
شيخ صادق - معروف في جوهره : إنه يبدأ بـ « استوية الصادقة » الصوح
وهذه هي الخطوة الأولى الأساسية وهي خطوة من صميم
الشرع ، فالتوبة من الذنوب واجبة ، بل هي مطلوبة ، ولو لم تكن
هناك ذنوب من الذنوب المتعارف عليها ، وقد قال الله سبحانه

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ (١)

() سورة الصرة : ٢٢٢

أى الذين يكثرون من التوبة، وما التوبة إلا خضوع وتصريح وتذلل، فهي من صميم العبودية، ومن أجل أنها من صميم العبودية كان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله ويستغفره في اليوم مائة مرة ولقد حث الله عباده على التوبة بشئى الأسايب، من ذلك قوله تعالى في حديث قدسى، فيما رواه الرسول ﷺ عن الله تبارك وتعالى:

« يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ » .

أى استغفرونى استغفاراً صادقاً، والاستغفار الصادق هو توبة صادقة، فإذا فعل الإنسان ذلك عثر الله له وتاب عليه . والتوبة الصادقة تحب ما قبلها، إنها تصع التائب فى مرتبة « البراءة » . فإذا ما تاب المرید لقنه الشيخ : « الذَّخْر »

وانذكر من صفات أولى لألساب، وذلك أن من صفاتهم - التى ذكرها الله سبحانه - أنهم :

﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١) .

والأمر بالذكر فى القرآن الكريم استغراق الأرملة والأحوال المختلفة للإنسان، سواء أكن تسبيحاً أم تهليلاً وحمداً وتكبيراً وحقلة .

(١) سورة آل عمران . ١٩١ .

وهذه هي الباقيات الصالحات ، وهذه هي المنجيات الحاميات .
 ولقد قال الله سبحانه وتعالى عن النبي «ذى النون» عليه السلام :
 ﴿ قُلُوبًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٢﴾ لَلَّيْلَ فِي بَيْتِهِ إِلَى يَوْمِ يُخْرَجُونَ ﴾ (١)
 لقد نجاه المسيح .

ولقد قال أحد من أصابتهم كارثة لإخوته :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (٢) ؟
 أى أنهم لو اتبعوا كلامه وسبحوا الله لما أصابتهم الكارثة .
 ومن الذكر الذى يصفه الشيخ لمريده : الصلاة على الرسول
 ﷺ . . .

والله سبحانه وتعالى يقول :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَمَلَانِكُمْ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
 وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

فالشيخ - إذن - فى أخذه بيد المريد إنما يبدأ بالتوبة ويشئ بالذكر .
 ولكن الشيخ وقد أخلص وجهه لله ، وملاً الله عليه جميع أقطار
 نفسه ؛ فأصبح ربانياً يقود مريده عن طريق الأسوة أيضاً .
 إن المريد يرى فى شيخه الاعتماد على الله والتوكل عليه وابتغاء
 مرضاته فى كل ما يأتى من الأمور وما يدع منها .

(١) سورة الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) سورة القلم : ٢٨ .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

إنه يرى في شيخه الصدق، والرأفة، والرحمة، ومواساة
الناسير، والعطف على المساكين، وهداية الحيارى، ويرى فيه
التأسى برسول الله ﷺ، والعمل بما أمر به القرآن، والانتهاز عما
نهى عنه القرآن . . فيقتدى بشيخه، ويتأسى به .

التوبة، الذكر، الأسوة، وأمر رابع هو تأثير الشيخ روحياً في
المريد، وهذه الظاهرة معروفة من قديم: إن نظرة الشيخ لمريده لها
أثرها .

ولقد وجد ذو النون في شقران العابد الشيخ المرشد؛ فاتبعه إلى
أن أصبح هو نفسه شيخاً مرشداً .

محنته

يقول الله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١).

ولقد أخذ بعض المؤرخين يعدُّ أعداء الأنبياء من المجرمين ، ومن الممكن أن يعدَّ الإنسان أعداء أولياء الله من المحرمين أيضاً ؛ وذلك أن كثيراً من الناس قد ملأ الشر قلوبهم ، إلى درجة أنهم لا يتحملون رؤية الأتقياء الأولياء .

ومع أن الله سبحانه يقول في حديث قدسي :

« مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ »

فإن الكثيرين يعادون أولياء الله لما في قلوبهم من شر ، ولما في نفوسهم من حب الإيذاء .

ولقد كان لدى النون أعداء .

إنهم أعداء التسامى في العلم ، وفي الخلق ، وفي التصوف

وتكثَّل هؤلاء الأعداء . يقول صاحب « الكواكب الدرية » عن

ذي النون :

« وَلَمَّا تَكَلَّمَ بَعْلُومٌ لِدُنِّيَّةٍ لَا عِلْمَ لِأَهْلِ مَصْرَ بِهَا ، وَشَوَاهِ إِلَى

خليفة بغداد ، فحُمِلَ إِلَيْهِ فِي جَمَاعَةٍ ، مَغْبُولًا مَقِيدًا ، فَقُدِّمَ لِلْقَتْلِ ،

فكَلَّمَ الْحَلِيمَةَ ، فَأَعْجَبَهُ ، فَأَطْلَقَهُ وَرَفَعْتَهُ ، وَقَالَ .

« إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةً فَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ » .

(١) سورة الفرقان ٣١

ولكن أهل مصر قوم طيبون ، فيمجرد أن رأوا ذا النون - وفي يده
 العُلُ وفي رحله القيد - أخذوا يبكون ، وإذا بذى النون يعلن :
 « هذا من مواهب الله ومن عطاياه . وكل فعالة عذب حسن طيب »
 ثم أخذ يشد مخاطباً لله سبحانه شعره :

لَكَ مِنْ قَلْبِي الْمَكَانُ الْمَصُونُ كُلُّ هَمٍّ فَيْكَ يَهْوُونُ
 لَكَ عَزَمٌ بِأَنْ أَكُونَ قَتِيلًا فَيْكَ وَالصَّبْرُ غَنٌّ مَا لَا يَكُونُ

ويتصر ذو النون بعض أخبار من هذه المحنة فيقول :
 « لما حُمِلْتُ مِنْ مِصْرَ فِي الْحَدِيدِ إِلَى بَغْدَادَ لَقِيتَنِي امْرَأَةٌ زَمَنَةٌ ،
 فقالت : إذا دخلت على المتوكل فلا تَهَبُهُ ، ولا تَرَاهُ فوقك ، ولا
 تَحْتَ نَفْسِكَ مُحَقَّقًا كُنْتَ أَوْ مَتَهُمَا ، لأنك إن هتته سلَّه الله عليك ،
 وإن حاججت عن نفسك لم يردك ذلك إلا وبالاً ، لأنك بَاهَتَ إِلَهَ
 فيما يعلمه ، وإن كنت بريئاً فادعُ الله تعالى أن يصبر لك ، ولا تستصر
 لنفسك فيكلك إليها .

فقلت لها : سمعاً وطاعة .

فلما دخلتُ على المتوكل سلَّمتُ بالحلالة .

فقال لي : ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة ؟
 .. فسكتُ .

فقال وريره : هو حَقِيقٌ عَدِيٌّ بما قيل فيه

ثم قال لي : لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟

فقلت :

يا أمير المؤمنين . إن قت لا كذبتُ المسمين . وإن قلت نعم
كذبتُ على نفسي بشيء لا يعلمه الله تعالى مني : فافعل أنت ما
ترى قاي غير منتصر لنفسي .

فقل الموكل . هو رجل برء مما قيل فيه

فخرجت إلى العجوز ، فقلت لها: جزاك الله عني خيراً.. ففعلت
ما أمرتني به ، فمن أين لك هذا ؟
فقلت :

«من حيث خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام» . . اهـ
تريد بذلك ما قال الهدهد

﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (١) أي : عن مشاهدة
ويريد قول الهدهد .

﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ (٢) .

بيد أن قصة هذه المحبة انتهت في كثير من الخير ، ولقد فصلها
بعض من كتب عن ذي النون من حيث حاتمها ، وذكر العص ما لم
يذكره الآخر ، ومن أجل ذلك نحب أن نذكر بعض ما ذكره
روى أبو نعم في «الحديث» عن إبراهيم بن يحيى ليبردي قال .
ما حمل ذو النون إلى حعفر ، لتوكل أمره في بعض الدور وأوصى
به ررافة .

(١ ، ٢) سورة المل ٢٢

وقال : إذا أخرجت عدائى ركوبى وأخرج إلى هـ الرجل
فقال له زرة : إن أمير المؤمنين أوصانى بك .

فلما رجع من الغد ، قال له .

انظر بأن تستقبل أمير المؤمنين بسلام

فلما خرج إليه قال له : سلّم عى أمير مؤمنين

وقال ذو النور

« لبس هكـ جاء الخبر .. امـ جاء فى الخبر ن الراكـ يسلم

على الراجـ » .

فتسّم أمير المؤمنين وندّه بسلام ، فلما برأ قال له

ـ أنت رهد أهل مصر ؟

قال :

« كذا يقولون » .

فقد له ردفة : يا أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام لزهـ .

فأطرق ملياً ثم قال :

ـ « يا أمير المؤمنين إن لله عبادا عبدوـ بخاص من اسرّ ، فشرّفهم

بخاص من شكره ، فهم الدين بمر صحفهم مع الملائكة قرّغى حتى اذا

صارت إليه ملاها بهم من سرّ ما سرّوا إليه .

أبدنهم دنوية ، وقلوبهم سموية ، قد احتوت قلوبهم من المعرفة

حتى كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الأفـج وطبق السموات ، لم

يحبوا فى ربـع الباطل ، ولم يرنعوا فى مصيف الآثام ، ودرّوها الله أن

يراهم يتواثبون على حبال المكر : هيبة منهم له ، وإجلالاً أن يراهم
يبيعون خلاقهم بشيء لا يدوم ، وبكثرة من العيش مزهودة ، قاوتن
أذن جلسهم على كراسي أم المعرفة بالادواء والنظر في منابت
الداء ، فقال لهم -

إن أناكم غير من قُدى دأؤوه ، و مريض من دُكرى دندوه ، و
نس لنعمتي فذكروه ، أو مبارز بي بالمعاصي فذندوه ، أو محب لي
فو صلوه يا أوليائي ، فيكم عانيت ، ولكم حاطيت ، وميكم الوفاء صلبت ،
ولا أحب استخدام الحباريين ، ولا تولي المتكررين ، ولا مصافاة المترفين ..
يا أوليائي وأحبائي ، جزائي لكم أفضل الحزاء ، وإعطائي لكم أفضل
إعطاء ، وبذلي لكم أفضل ابذل ، وفضلي عليكم أوفر لفضل ، ومعامتي
لكم أوفى المعاملة ، ومطالبتى لكم أشد المطالبة ، أنا مقدس القيوب ، وأنا
علام الغيوب ، وأنا أعلم بمجال الفكر ووساوس الصدور ، من أرادكم
بسوء قصمته ، ومن عادكم أهكبه .

ثم قال ذو النون :

« وَرَدَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى بَحْرِ مَحَبَّتِهِ قَاعَتِ رَفَتْ مِنْهُ رِيّاً مِنَ الشَّرَابِ .
فَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ كُلَّ عَارِضٍ عَرَضَ لَهَا دُونَ لِقَاءِ الْمُحِبِّينَ ، قَدْ سَكَنَتْ لَهُمْ
الْأَنْفُوسُ ، وَرَضُوا بِالْفَقْرِ وَالْمُؤْسِ ، وَاطْمَأْنَنَتْ جَوَارِحُهُمْ عَلَى الدُّوُوبِ
عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِالْحَرَكَاتِ ، وَطَعَتِ أَنْفُسُهُمْ عَنِ الْمَطَاعِمِ وَالشَّهَوَاتِ ،
فَوَاقُوا بِالْفِكْرِ ، وَاعْتَصَمُوا الصَّبْرَ ، وَاتَّخَذُوا بِالرِّضَا ، وَلَهُوَ عَنِ الدُّنْيَا ،
وَأَقْرَبُوا بِالْعِبَادَةِ لِلْمَلِكِ الدِّيَانِ ، وَرَضُوا بِهِ دُونَ كُلِّ قَرِيبٍ وَحَبِيبٍ .

فحشعوا بهيبته . وأقروا له بالتقصير . واذعنوا له بالطاعة ولم يبالوا بالقلّة .

إذا دخوا قاهل نقي ، وإذا عوملوا قباحون حياء ، وإذا تكلموا فحكماء ، وإذا سئلوا فعلماء ، وإذا حُبل عيهم فحلّماء . فلو رأيتهم لقلت . عذاري في الخدور . قد تحركت بهم المحبة في صدور ، بحسن تلك الصور التي قد علاها الدور ، وإذا كشفت عن القلوب رأيت قلوباً لبنة منكسرة وبالذكر نائرة وبمحادثة المحبوب عامرة . لا يشغلون قلوبهم بغيره . ولا يميلون إلى ما دونه . قد ملأت محبة ابنه صدورهم فليس يجدون لقرب المحلوفين شهوة ، ولا بغير الابن بمحادثة الله لذة . بخوان صدق ، وأصحاب حياء ووقار . ونقي وورع وإيمان ومعرفة ودين . فاستقبلوا الوفاء بالصبر على لزوم الحق واستعانوا بالحق على الباطل . فوضح لهم الحُجّة ، ودلهم على الحُجّة . فرفضوا طريق المهالك ، وسلكوا خير المسالك . أولئك هم الأوفاد الذين لهم توهب المواهب ، وبهم تُفتح الأبواب . وبهم يُنسأ لسحاب . وبهم يُدفع العقاب والعذاب . وبهم يُسقى العباد والبلاد .. فرحمة الله علينا وعليهم .

لقد سبق أن ذكرنا أن المتزكّر بعد أن سمع كلام دي المور قال

« إن كان هؤلاء رماة فما على وجه الأرض مسلم »

ويدون متوكل أحد . بعد ذلك . يستدعي دي المور ويسمع منه ، فصاحب « السر المكون » يذكر قصة طويّة يطلب فيها متوكل من دي

النون أن يحدثه بأعجب ما رأى فى سياحاته ، ويحدثه ذو النون ،
ولعل من آثار ذى النون هذا السلوك الذى اتخذه المتوكل بالنسبة
لأهل السنة من إيقاف التنكين بهم ، ومن اصطهادهم .
ومما لا شك فيه أن ذا النون أثر فى نفس المتوكل من هذا الجانب ،
لقد أثر فيها ، إلى درجة أن المتوكل كان إذا ذكر عنده أهل الورع يبكى
ويقول :

« إذا ذكر أهل الورع فحيَّهلاً بذى النون »

إن المتوكل فى صلته الوثيقة بالمعتزلة لم ير فيهم هذا اللون من
العمودية بله ، والصلة به ، ومن الورع والزهد
وما كان المعتزلة - فى يوم من الأيام - يتجهون هذا الاتجاه ، أو
يتحدثون بهذا الأسلوب المؤثر ، أو تبدو شخصيتهم فى هذه الصورة
التي ترى فيها قلوباً امتلأت بحب الله سبحانه كلاً ، وإنما كانت
هذه الصورة كثيرة فى أهل السنة .

ومهما يكن من شيء ، فإنه قد ان الأوان لرجوع ذى النون إلى
مصر معززاً مكرماً

ومر ذو النون بحاجب المتوكل ، هذا الرجل الذى عرف ذا النون
عن قرب ، فعرف عبادته وذكره وتسيحه ، وبحب أن يذكر هنا قصة
عن وداعه لذى النون ، يقول :

دخل على ذو النون ليودعنى ، فقلت له :

اكتب لى دعوة ، فصر ، فقرئت إليه حام لوريج ، فقلت له
كل من هد فيه ينفع للدماغ ، وينفع العقل
فقال :

« العقل ينفعه غير هذا » .

قلت : ما ينفعه ؟

قال :

« سبع امر الله والانتفاء عن شهيه ، اما علمت ان السبع قال « إنما

العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه »

فقلت له . أكرمى بأكله .

قال

« أريد ألد من هذا » .

قلت : وأى شىء تريد .

فقال :

« هذا لمن لا يعرف الحلوى ، ولا يعرف أكلها ، وإن امر معرفة الله

يتخذون خلاف هذا اللوزينج » .

قلت لا أض أحد فى الدب تحس أن يتحد حود من هد ، فإن

هدا من مطيح أمير المؤمنين امتوكل على الله

قال :

« خذ باب مكنون محص طعمه المعرفة ، واعجبته بماء الاجتهاد

.. وطابق صفو اوده ، ثم احبر بوزنج العباد بحر فيرون نفس

الزهاد ، وأوقده بحصب الأسى .. » .

وهكذا أحد ذو النون يحدثه بهذا الأسلوب المجري عن مأكول
أهل الله ، حتى قال له :

« ثم كُلْ بأنامل التفويض ، في ولائم المناجاة ، موجدان خواطر
القلوب ، فعند ذلك تفريج كرب القلوب ، ومحل سرور محب الملل
المحبوب » .

ثم ودَّعَى وخرج ، رحمة الله عليه .

عاد ذو النون لمصر معرراً مكرماً ، ولعل من مقادير الله سبحانه
أن محبة ذي النون إنما كانت رسالة يؤدها إلى المتوكل الذي بدأ حياته
بعبادة أهل السنة ، فلما أدى الرسالة وبصح لمنوكل انتهت مهمته
في بغداد ، وعاد إلى مصر التي كان يهمو فؤاده بسببها

ولعل من تصرفات المقادير أن تكون هذه لمحة من لأسباب التي
تجعل حياة ذي النون حياة هادئة ، فإنه وقد عاد معرراً مكرماً من عند
الخليفة الحنرمه الوالي واحرمه غير انزالى ممن يسиров في التحفات
الخليفة ، بسخطون إذا سخط ، ويرصون إذا رصى

أكانت محبة ؟ أم كانت . كما عثر عليها ذو النون بقوله .

« هذا من منحة الله وعظايه ؟ » .

وفاته

أما عن وفاة ذى النون فإننا نكتفى بقل النصوص الآتية :

يقول صاحب « السر المكنون » :

« روى المنذرى فى تاريخه عن أبى محمد بن رمان بن حبيب

المصرى قال :

« مات ذو النون رأيت على جدارته طيوراً خُصراً ، فلا أدري أى

شئء كان ؟ ومات عندما بمصر ، فأمر أن يُجعل قبره مع الأرض »

ويقول الإمام الشعرانى :

« منهم أبو الفيض ذو النون المصرى رضى الله تعالى عنه : واسمه

ثوبان بن إبراهيم ، وكان أبوه توبياً ، توفى سنة خمس وأربعين

ومائتين ، وكان رحمه الله رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة ويسر بأبيض اللحية .

ولما توفى رحمه الله بالحيرة حُمل فى قارب مخافة أن ينقطع الجسر من

كثرة الناس مع جدارته ، ورأى الناس طيوراً حصراء ترفرف على

حنازته حتى وصلت إلى قبره رحمه الله .

ويقول صاحب « الكواكب الدرية » :

« ودفن بالقرافة ، وقبره بها ظاهر مقصود بالزيارة ، وعليه أنسٌ

ومَهَابَةٌ .

وكلموه - وهو فى النزع - فقال :

« لا تشغلونى ؛ فقد عجبتُ من كثرة لُطْفِ الله بى » .

المحدث المتبع للسنة

إن الاقتداء برسول الله ﷺ من أجل الأمور التي يسعى إلى تحقيقها الصوفية، وهم يرون - في صدق - أن القرب من الله سبحانه لا يتأتى إلا بالسير في الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ
إن الله سبحانه يقول :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١)

وكيف يقصد الإنسان رسول الله ﷺ إذا لم يكن على معرفة بسيرته، ومن أجل هذه المعرفة درس الصوفية السيرة النبوية . .
درسوه في مصانها من كتب لسيرة ومن كتب المحدث
وبعض الصوفية حص خطوة أخرى فاشتغل بالحديث وأصح
محدثاً، ومن هؤلاء: الفضيل بن عياض.
أما فيما يتعلق بذي النون فإنه درس أسيرة دراسة مستفيضة،
درسها ليقتدى بها ودرسها ليرشد إليها
ودرس الحديث، من وأسد الحديث عن الأئمة - رحمهم الله
تعالى :

عن مالك ، واليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، والفضيل بن
عياض وغيرهم.

(١) سورة الأحزاب ٢١

ولكن أمره في إسناد الحديث سار عني ما وصف صاحب «الحلية»
إذ يقول :

« شَغَلَتْهُ الرِّعَايَةُ عَنِ الرِّوَايَةِ » .

وذو النون هو الذي يقول :

« من علامات المحب لله - متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله
وأمره وسُنَّته » .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١)

ومن كلمات ذي النون لتي لها مغزاها فيما يتعق ما سَمِعَ سُنَّةَ
الشريفة ما يحدث به محمد بن سعيد الخوارزمي ، قال :
سمعت ذا النون - وقد سئل عن المحبة - قال :

« أَنْ تُحِبَّ مَا أَحَبَّ اللَّهُ ، وَتُبْغِضَ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ ، وَتَفْعَلَ الْخَيْرَ
كُلَّهُ ، وَتَرْفُضَ كُلَّ مَا شَغَلَ عَنِ اللَّهِ ، وَالْأَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً ،
مَعَ الْعَصْفِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالْغِلْظَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ هِيَ الدِّينُ »

ومن الأحاديث لتي أسدها ذو النون ما يسي

يقول أبو الصيض ذو النون بن إبراهيم المصري :

حدثنا مالك بن انس ، عن الزهري ، عن أسس ، قال :

قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَحَبُّهُ مَنْ خَلَقَهُ »

قيل : من هم يا رسول الله ؟

ول . « أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ »

(١) سورة آل عمران ٣١٠

ويقول أبو الفيصر ذو النور: حدثنا فضيل بن عياض عن ليث عن
مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«تَجَافَوْا عَنِ ذَنْبِ السَّخِيِّ فَإِنَّ اللَّهَ نَعَالِي أَخَذَ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَثَرَ»^(١)
ولقد روى ذو النور هذا الحديث الشريف بعدة طرق.

ويقول رحمه الله: سمعت الفضل بن هاني، سمعت مالك بن أنس
رحمه الله، سمعت جعفر بن محمد يقول، سمعت أبي يقول:
سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب
يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت حريز يقول:

«مَنْ قَالَ مِنْ أَمْنِكَ - يَا مُحَمَّدٌ - كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ
الْحَقُّ الْمُبِينُ، كَانَ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ وَأُنْسًا مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَاسْتَجِيبَ بِهِ
الْغَنَى، وَاسْتَقَرَّ بِهِ بَابُ الْجَنَّةِ»^(٢).

ويقول ذو النور: حدثنا مالك بن سمي عن أبي صالح عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ - مِائَةَ مَرَّةٍ - غُفِرَتْ
ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

ويقول ذو النور المصري: حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) روى من طرق أخرى

(٢) يسعى أن ينهم معنى هذا الحديث وأمثاله على وجهه الصحيح، أي: من هاهنا
مؤمناً بها بحسب نفس يعصمه من أن يستسلم لعسر الله من نزع أو شهوة أو حب جاه
أو مال فمن دلها على هذا الوجه كذبها ثمارها من خيرات وكثرة

« الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ »

ويقول ذو النون المصري : حدثني عن أنس بن مالك عن زهيد عن أنس
عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال

« مَنْ كَتَبَ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِرْ » . أخرجه الخطيب في « رواة
الحدیث » والحديث في « الموطأ »

ويقول ذو النون . حدثنا سمعان بن عيينة عن أبي بكر أنه سمع أنس
ابن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ .

« بَتُّعْ مِلَّتَ ثَلَاثٌ . فَرُجِحْ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ . يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ
وَعَمَلُهُ . فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ » (١)

ومن أقواله لرجل :

« لَيْكُنْ ثَرَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَكَ وَأَحْبِبْ إِلَيْكَ إِحْكَامَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ
وَابْعَاءَ مَا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ مَا تَعَبَدَكَ إِلَهُ بِهِ خَيْرٌ لَكَ وَأَفْضَلُ مِمَّا
تَخْتَارُهُ لِنَفْسِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبَرِّ الَّذِي لَمْ يَحِبْ عَلَيْكَ وَاسْتَسْرِى أَبْهَاطُهَا
لَكَ فِيمَا تَرِيدُ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَرَاعِيَ أَبَدًا مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ
فَرَضٍ يَحْكُمُهُ عَلَى تِمَادِ حُدُودِهِ ، وَيَنْظُرَ إِلَى مَا تُهَيَّ عَنْهُ ، فَيَتَّقِيهِ عَلَى
إِحْكَامِ مَا يَنْبَغِي .

واعلم أن الذي منع العباد عن ربهم ، وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة
الإيمان وما أعد الله لأولياءه وأعدائه ، حتى يكونوا كأنهم مشاهدون
لها التهاون عن إحكام ما افترض عليهم في قلوبهم وأسماعهم

(١) حديث صحيح

وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم ، ولو أحكموها ادخل
عليهم الفوائد حتى يعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما ورثهم الله من
معوناته وفوائد كراماته، ولكنهم حقروا محقرات الذنوب، وتهاونوا بما
فيهم من العيوب ، فحُرِّمُوا ثواب الصادقين «

ذو النُّونِ الْعَالِمِ

إن صلة رجال التصوف بالعلم - على وجه العموم - صلة وثيقة ،
إبهم ينصلون - من قرب - بكتاب الله سبحانه : يتلونه متعددين
تلاوته ، ويكثرون تلاوته منقرين إلى الله به فيفتح الله عليهم
الكثير من أنواره ، فيشيرون إلى هذه الأنوار ويتذكرون بعض ما فتح
الله عليهم .

وهم يتصلون - عن قرب - بسنة رسول الله ﷺ ، وذلك من أجل
الافتداء به ، فيستفيدون منها لذة وأسواً ، وفقهاً وأنواراً .
إن الذين أرخوا للحنيد يقولون

« كان (لَكْتَسَةُ) يحضرون مجلسه لألساطه ، والمتكلمون
لتحقيقه ، والمفتهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه ، والصوفية
لإشاراته وحقائقه ، وكان فقهياً على مذهب أبي ثور ، وكان يفتى في
حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة » . وهو انقائل

« من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا
الأمر ؛ لأن علمنا هذا مقيّد بكتاب وسنة » .

ولم يكن الحنيد مدعاً من الصوفية ، فالفضيل بن عبد الله كان إماماً
في الحديث وهو ممن أسد عنهم البخاري .

ومعروف الكرخي : كان أحمد بن حنبل وابن معين - كما نقول
الغزالي - يختلفان إليه ويسألانه ، ولم يكن في علم الظاهر مثلهما .
وسرى السقطي : كان أواحد أهل زمانه في علوم لتوحيد

وحدث الحاسبى هو - كما قال التميمى - إمام المسلمين فى
 لبقه وصنوف الحديث وكلام . . . ويقول عنه الإمام العزالى :
 « حاسبى خير الأمة فى علم وعمدة ، وقد سبق على جميع
 الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال »
 وأبو سيمان داود طائى . يقول عنه ادهى
 « كان إماماً عقيهاً ذا فروع عديدة » .

وسهل التستري حفظ القرآن وهو من سبع سنين ، وكان يُسأل عن
 الرهد والنورع والشفه وهو بن عشر سنين فيحسن الإجابة ، وهو
 قدش هذه الكمة التى لها معارف العميق .
 « ما أعطى أحد شيئاً فصل من علم يستريد به اعتزاز إلى الله » .
 وأبو تراب الحشبي تتلمذ على الإمام الشافعى ، وتلمذ عليه
 الإمام أحمد بن حنبل

ومصور بن عمار ؟ كتب إليه بشر المريسى سائلاً :
 « ما قولك فى القرآن ، أمخلوق أم لا ؟
 فكتب إليه هذه الكلمة النفيسة :

« أما بعد ، عافانا الله وإياك من كل فتنة ، فإن بعض فأعظم بها من
 نعمه ، وإلا فهي الهبكة . . . اعلم أن الكلام فى القرآن بدعة اشترك
 فيها السائل والمحسب ، فتعطى السائل ما ليس له ، وتكلف المحسب ما
 ليس به ، والله تعالى الخالق ، وم دون الله مخلوق . . . والقرآن
 كلام الله ، وائته إلى أسمائه التى سمأه الله بها تكرر من المهتدين ، ولا
 تتدع فى القرآن من قبلك اسماً تكرر من الضالين .

﴿ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

ويوسف بن الحسين كان عالماً أديباً .

وأبو عبد الله الترمذى ؛ قال الحافظ ابن الجار فى تاريخه .

« كان إماماً من أئمة المسلمين ، له التصانيف لكثيرة فى التصوف

وأصول الدين ومعانى الحديث » .

وأبو بكر الوراق الترمذى له التصانيف فى الربا صبت

وأبو سعيد الخراز له التصانيف فى التصوف سبوكاً وثمره .

وأبو العباس أحمد الأدمى ، وهو القائل :

« مَنْ أَلْرَمَ نَفْسَهُ آدَابَ الشَّرِيعَةِ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْمَعْرِفَةِ ، وَلَا مَقَامَ

أَشْرَفَ مِنْ مَقَامِ مُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ ﷺ فِي أَوَامِرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ » .

وهو المائل :

« كُلُّ مَا سُئِلْتُ عَنْهُ فَاطِلُهُ فِي مَفَازَةِ الْعِلْمِ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَمِى مِيدَانِ

الْحِكْمَةِ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ قَرْنُهُ بِاسْتَوْحِيدٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ

الثَلَاثَةِ فَاضْرِبْ بِهِ وَجْهَ الشَّيْطَانِ » .

وأبو حمزة البغدادى كان عالماً بالقراءات ، فقيهاً . . .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يثير أمامه المسائل ثم يسأله :

« مَا تَقُولُ فِيهَا يَا صُوفِي ؟ » .

وإذا أردت أن أسير على هذا انسق أمكر عدُّ مئات من الصوفية

العلماء .

ولابد للصوفى من العلم بسيرة رسول الله ﷺ حتى يحسن

الافتداء به ، فلابد له - إذن - من قراءة كتب الحديث والسيرة ، وفى

دلت علم كثير . . .

ومع أن صلة الصوفية بالعلم واضحة من خلال التاريخ، فإنه يحسن بنا هنا أن نذكر ونذكر ببعض لأعلام في العلم والتصوف .
 إن الشيخ الأكر^(١) معجزة من معجزات الدنيا، لقد كان قمة في الفلسفة، وكان قمة في تفسير، وكان قمة في الفقه، وكان قمة في اللغة، وكان شاعراً . . وإد أردت أن تقول إنه في العلم الكسبي لا مثيل له، فإن لك من كتبه ما يبرر قولك .
 بيد أن هذا العلم الكسبي يسير فيه - في كل أجزائه - تيارٌ إلهامي يتجلى في وصوح . .

ومن أجل هذه النفاسة في إنتاجه يرى كثيرون ممن درسوا آثاره أنه أعظم شخصية علمية في العالم، وهو - من غير شك - حصة من حسنات أتباع محمد ﷺ .

والإمام لعزالي : إنه قمة في كل ما تدوله قلمه من أبحاث في الفقه وفي أصول الفقه وفي الفلسفة وفي التصوف، وكتابه « إحياء علوم الدين » - وهو أصواء من هدى الكتب والسنة - خالد على الدهر . .

والإمام الشعراني رحمه الله له من الآثار العلمية الكسبية الروحية ما لا يكاد يحيط به محيط .
 ونعود فنقول :

إن ذا النون لم يكن بدعاً من الصوفية في الجانب العلمي، ولقد كان من صفات ذي النون البارزة أنه كان صلعة، وما سياحاته الكثيرة . التي سندكر بعضها إن شاء الله . إلا أثراً من آثار هذه الصفة البارزة .

(١) هو محيي الدين بن عربي .

وكانت هذه لصفة تقود دا النون إلى ارتياد المجاهيل في
 لعدم، كما كانت تقوده إلى ارتياد المجاهيل من الأقسام .
 وتبدو شخصية دى نون احتشيقية في وصوح، فيما يذكره عنه اس
 لقمطى في كتبه «إحدر العلماء بأخبار الحكماء» حيث يقول .
 «ذو النون بن إبراهيم الإخميمى المصرى، من طبقة جدر بن حيان
 فى اتتحال صاعقة الكيمياء، وتقلد عدم الماطر، والإشراف على كثير
 من علوم الفلسفة . . وكان كثير للملازمة لبرن مدة إخميم، فإنها بيت
 من سوت احكمة لقديمة، وفيها الصاوير العجبة واشلات العريفة،
 التى تزيد المؤمن إيماناً والكافر طعياً»
 ويقال . إنه فُح عيه علم م فيها بطريق الولاية، وكانت له
 كرامات . .

أما المسعودى . الذى توفى بعد ذى النون بمائة سنة كاملة . وكان
 أول مصدر تكلم عنه، فيحبرنا أنه جمع معلوماته عن دى النون من
 «هل إخميم، عندما رار هذا السد، وهو يروى عنهم أن أبا السبض د
 النون، المصرى الإخميمى الزاهد كان حكيماً، سدك طريقاً حصاً،
 واتخذ فى الدين سيرة خاصة، وكان من المعنير محل رموز الرابى فى
 إخميم، كثير الصواف بها . . وأنه وفق إلى حل كثير من الصور
 والنفوش المرسومة عليها (١) .

وكان الإمام فى هذا، لطريق هو الإمام جعفر الصادق يقول
 صاحب كتاب «الصوفية فى الإسلام» .

(١) الصوفية فى الإسلام ص ٩ ، ١٠

«جعفر الصادق - المتوفى سنة ١٤٨ هـ - يذكر عنه ، كما يقول صاحب « تذكرة الأولياء » ، أنه ألّف رسالة في الكيمياء ، والفأل والتطير ، وأد جابر بن حيان - الكيميائي المعروف - كان يُدعى جابراً الصوفي ، وأنه تقلّد ما تقلّد دو النون المصري « علم الباطن » . . . الذي يطلق عليه ابن لقططى اسم « مذهب المتصوفين من أهل الإسلام » (١) .

وقال السلمي : « دخلت عليه فرأيت بين يديه طستاً من ذهب ، وحوله نَدَّ وعسر ، فأعطاني درهماً ، فأنفقت منه إلى أن وصلت إلى مفسدى » .

ويقول المستشرق نيكسون :
« ويؤثر عنه أنه أول من وضع تعريفات للوحد والسماع ، وعرف التوحيد بالمعنى الصوفي ، فسمّا ذكرناه - فيما أعتقد - ما كفى للدلالة على أن ذا النون لا أب يزيد اسطامى - كما يعتقد مستر هونفيلد - كان له أكبر الأثر في تشكيل الفكرة الصوفية » (٢) .

وعن عبد الحکم بن أحمد بن سلام الصدهى قال :
سمعت ذا النون المصرى يقول .

« قرأت فى باب مصر بالسريانية ، فتدبرته ، فإذا فيه : يقدر المقدرون والقضاء يضحك » .

ولعل مما يتصل بهذا الجواب - الجانب العدمى - وينيره بصورة أوضح ، أن يذكر الآن تقدير العلماء لذى النون . . .

(٢) انصوفية فى الإسلام ص ٨

(١) لصوفية فى الإسلام ص ١١

قال أبو المحاسن : « إننا النون كن أول من تكلم في مصر في
الأحوال ومقامات أهل الولاية » .

وقال عنه مسدده بن قاسم « كان عالما صاحب حار هدا ورعا متبيا في
العلوم ، واحدا في عصره » .

ويقول حامى . « هو رأس هذه الفرقة ، فالكل أخذ عنه ، وانتسب
إليه . وقد كان مشايخ فيه ، ولكنه أول من فسّر إشارات صوفية
وتكلم في هذا الطريق » (١) .

« وهو أحق رجال الصوفية - على الإصلاق - بأن يطلق عليه اسم
واضع أسس التصوف » (٢) .

« وهو العارف الناطق بالحقائق » (٣) .

« وكان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ، وفي مقامات
الأولياء فحول الرجال ، فقال جهة المتفهمة إنه زليق » (٤)

ويتحدث عنه صاحب « الحلية » فيقول :

« ومنهم العَلَمُ الْمَضَى ، وَالْحَكَمُ الْمَرْضَى ، الْمَاضِقُ بِالْحَفَاقِ ، الْمَضِقُ
لِلْمُطَرَاتِقِ . له العبارات الوثيقة ، والإشارات الدقيقة ، بصر فعبّر ،
وذكر فردد حر ، أبو البيض ذو اللون من إبراهيم المصرى ، رحمه الله
تعالى » .

وأقدم « سهل التستري » سنين لا يسد ظهره للمحروك ولا يتكلم ،
فلما كان ذات يوم بكى ، وسد وتكلم ، وباع في أسر المعاني
العجبية والإشارات الغريبة فقبل له فيه ، فقال .

(١ ، ٢) الصوفية في الإسلام ص ٧ (٣ ، ٤) الكواكب الدرية ص ٢٢٣

« كان ذو النون بمصر حياً فما تكلمت ولا استندت إحلالاً له ،
والآل قد مات فقيل لي تكلم فقد أذنت » (١)
وقال ابن يونس :
« كان عالماً فصيحاً حكيماً ، امتحن وأودى لكونه أتاها علم لم
يعهده » .

تقديره للعلم :

قل ذو النون :

« كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا ، وتركاً لها ..
واليوم يزداد الرجل بعلمه نديباً حباً ولها طلباً ..
كان الرجل ينفق ماله على علمه ، واليوم يكسب الرجل بعلمه مالاً ..
كان يُرى على صاحب العلم زيادة في ظاهره وباطنه ، واليوم يُرى
على كثير من أهل العلم فساد الظاهر والباطن »
وكان يقول للعلماء :

« أدركت الناس وأحدهم كلما ازداد عبداً رداً في الدنيا زهداً وبعضاً
.. وأنتم اليوم كلما ارداد احدكم عبداً رداً في الدنيا حباً وطلباً ومراحمة
.. ادركناهم وهم ينفقون الأموال في تحصيل العلم وانتهم اليوم تنفقون
العلم في تحصيل المال » .

وكان يقول موحهاً الحديث للعلماء في صلتهم بالحكام وذوى

اليسار

(١) الكوكب لدرية ص ٢٢٣

« العجب - كل العجب - من هؤلاء العلماء: كيف خضعوا للمخلوقين دون الخالق، وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق؟! » .
وسئل رحمته عن الحديث: لم لا تشتعل به؟
فقال

« للحديث رجال ، وشغلي بنفسى استغرق وقنى ، والحديث من أركان الدين ، ولولا نقص دخل على أهل الحديث ولفقه لكانوا أفضل الناس فى زمانهم، ألا تراهم بذلوا علمهم لأهل الدنيا يستجلبون دنياهم فحجبوهم واستكبروا عليهم ، وافتنوا بالدنيا لما رأوا من حرص أهل العلم والمتفقهين عليها ، فخذوا الله ورسوله ، وصار إثم كل من تبعهم فى عنقهم، جعلوا العلم فخاً للدنيا ، وسلاحاً يكسبونها به بعد أن كان سراجاً للدين يُستضاء به »

ويحمل هؤلاء حملة قوية على كل من يحرف فى سلوكه من العلماء فيقول :

« قد غيب على العباد ولسناك والقراء - فى هذا الزمن - التهاون بالذنوب حتى غرقوا فى شهوة بطونهم وفروجهم ، وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون ، أكلوا على أكل الحرام ، وتركوا طلب الحلال، ورضوا من العمل بالعلم، يستحى أحدهم أن يقول - فيما لا يعلم - : لا أعلم.

هم عبيد الدنيا ، لا علماء الشريعة ، إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح .. إن سألوا الحوا، وإن سئوا شحوا ، لبسوا الثياب على

قُتِبَ الذَّنْبُ ، اتَّخَذُوا مَسْجِدَ اللَّهِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ لِرَفْعِ صَوَاتِهِمْ
بِاللُّغُو وَالْحَدَالِ ، وَالْقِيلِ وَالْقَالِ ، وَاتَّخَذُوا الْعِلْمَ شَبَكَةً يَصْطَادُونَ بِهَا
الْدُّنْيَا ، قَابِإَكُمْ وَمَجَالِسَتَهُمْ » .

وَنَأْتِي هُنَا بِمَوْدِعٍ مِنْ إِجَابَاتِ دِي لَنُوبِ عَنْ بَعْضِ الْأَسْئَةِ :
يُرَوِّى أَبُو نُكْرٍ عَنْ أَبِي الدُّنْيَا ، قَالَ قَالَ بَعْضُ الْمُتَعَمِّدِينَ :
كُنْتُ مَعَ دِي اسْوَنَ الْمَصْرِيِّ بِمَكَّةَ ، فَقُلْتُ لَهُ
- رَحِمَكَ اللَّهُ ، سَمَّ صَارَ الْوُفُوفُ بِأَحِلٍّ وَلَمْ يَصِرْ بِالْكَعْبَةِ ؟
قَالَ :

« لِأَنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ ، وَالْجِبِلُ بَابُ اللَّهِ فَلَمَّا قَصَدُوهُ وَفَدَيْنَ أَوْقَفَهُمْ
بِأَبَابٍ يَتَضَرَّعُونَ » .

فَقِيلَ لَهُ . يَرْحِمُكَ اللَّهُ ، فَالْوُفُوفُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَيْفَ صَارَ
بِالْحَرَمِ ؟
قَالَ :

« لَمَّا أُدِنَ لَهُمْ بِالْدُخُولِ إِلَيْهِ أَوْقَفَهُمْ بِالْحِجَابِ الثَّانِي وَهِيَ الْمَزْدَلِفَةُ .
فَلَمَّا صَالَ تَصَرَّعَهُمْ أَمْرُهُمْ بِبَعْدِ قُرْبَانِهِمْ فَتَطَهَّرُوا بِهَا مِنَ الذُّنُوبِ
الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ حِجَابًا دُونَهُ وَأَذِنَ بِالرِّبَاةِ إِلَيْهِ عَلَى طَهَارَةٍ » .
قَالَ لَهُ فَلِمَ كُرِهَ الصُّوْمُ أَمَّ التَّشْرِيقُ ؟
قَالَ :

« لِأَنَّ الْقَوْمَ رَأَوْا اللَّهَ ، وَهُمْ فِي ضِيَافَتِهِ ، وَلَا يَنْفَى بِلَصِيفٍ أَنْ
يَصُومَ عِنْدَ مَنْ أَضَافَهُ » .

قِيلَ لَهُ يَرْحِمُكَ اللَّهُ ، فَتَعَلَّقَ الرُّحَى بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ لِأَيِّ مَعْنَى ؟

قال :

« هو مثل الرجز تكور بسبه وبين أحييه حياة ، فسدلِق بثوبه ،
ويتصرع إليه ، ليعقر له جُرمه وجنايته »
ويروي سعيد بن عثمان الخياط ، يقول :
سمعت دا لُور يقول : وقد سأله رجل -
« أأ اليسر ، رحمك الله ، من أَرَد التواضع كيف السبيل إليه ؟ »
فقال له :

« افهم ما ألقى إليك ، من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله
فإنها نذوب وتصفو ، ومنْ نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه ،
لأن النفوس كلها صغيرة عند هيئته ، ومنْ أشرف التواضع أن لا ينظر
إلى نفسه دون الله ، ومعنى قول النبي ﷺ :
« مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ » .

يقول :

« مَنْ تَذَلَّلَ بِالْمُسْكِنَةِ وَالْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ الْإِنْقِطَاعِ لِيهِ »
.. وبعد -

فإنما سَخِمْ هذا الفصل بقول دى لُور :
« تَكُنْ النَّاسُ مِنْ عَيْنِ الْأَعْمَالِ .. وَتَكَلَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الْمَعْنَى »

* * *

الصُّوفِيُّ؟

إبه مر إذا نطق أأن نطقه عن الحقائق ، وإن سكنت نطقت عنه
الجوارح بقطع العلائق

الصوفية ؟

إنهم قوم اأرو الله عى كل شىء ، ودرهم لله على كل شىء .

- من أين جاء هذا الاسم ؟

لقد سئل ذو النون لمَ لرمتم هذا الاسم - اسم التصوف - وهل هر

مشتق من معنى ، أو لقب ؟

فما :

« قيل: إن اسم الصوفية كان فى الأصل «صَفْوِيَّة» من الصفاء، وذلك

أنهم يسترون العمل ويكتمونه فلا يشوبه الرياء.

وقبل: إنهم كانوا فى الأصل «صُفْتِيَّة»، مأخوذ من أهل «الصُّفَّة»

وقيل : إنه اسم لزمهم على غير اشتقاق ، وإنما هو لمن تبطل منقطعاً

إلى إبه من العباد، فأخلص المجاهدة.

وقيل: إبه عَلمٌ غير مشق من سبه ولا عمل.

وكنوا يلبسون الصوف ، لأنه أدعى إلى التفشف ، وأشبه بلباس

الصالحين.

وكان التصوف سمة المحتهدين فى العبادة »

الطريق :

من صرائف دى نور أنه سئل عن السَّلمة من هم ؟

فتان

« من لا يعرف الطريق إلى الله تعالى ، ولا يتعرفه » .

والقرب من الله سبحانه وتعالى سعادة

ويقول ذو النون :

« يا أول قدم تطلبه قدركه ونجده » .

لأنه من البدء بالطلب ، والصب في إحلاص وصدق ، وهذا

طريق الإنابة .

وما طريق لأحباء ولا شرؤ طه . إن الله سبحانه وتعالى يقول

﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١)

لتصرف - إذن - طريقان طريق لأجنياء ، وطريق الإنابة وعن

ذلك يعبر ذو النون فيقول - فيما رواه يوسف بن الحسين - :

سمعت ذا النون يقول :

« العطايا مواهب ، والطاعات مكاسب ، والغاس رجلان

دارج ، وواصل » .

.. فالدارج سائر على صريق الإيمان

.. والواصل طائر بقوة المعرفة .

.. ولكل دليل ' قدليل الإيمان العلم وديل المعرفة الله تعالى .

.. فمتى يلحق أسائر الطائر »

ويحصر ذو النون الطريق إلى الله ، والسعادة التي تنأتي عنه في

إيحاز محكم جميل ، فيقول

(١) سورة الشورى ١٣

« إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله، فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبته لله، فإذا استقرت عنده درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا اطاع تولد من الطاعة الرجاء، فإذا استقرت درجة الرجاء تولدت من قبل الرجاء المحبة، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه استتبعته درجة الشوق، فإذا اشتاق أداه شوقه إلى الأنس بالله، فإذا نسى بالله اطمأن إلى الله، فإذا اطمأن إلى الله كان ليلة في نعيم، وبهاره في نعيم، وسره في نعيم، وعلايته في نعيم ».

ومدار الطريق - فيما يرى دور الورد - على أربع .

« حب الجليل، وبغص الفنى القليل، وأتباع التنزيل، وخوف التحويل ».

ويسعى للمريد أن يحكم الأصل، ثم يطلب المخرج، كيف يسأل عن الرهد وهو سم يحكم الورع، وقل الورع السوءة، ويرى نظرت إلى امرئ يسأل عن أرضا وهو لا يدري ما انقوع وإنا لا نتحدث هنا عن طريق الاحتباء فإنه فى حقيقة الأمر ليس طريقاً بالمعنى العادى :

إنه جذبة من جذبات الحق فى لحظة بعدها يتبدل المرء حالاً بعد حال، ويدخل رحاب الحق - حل وعلا - عبداً من عباده المخلصين لقد اختارته العبيد منذ الأزل، وأدركته فى الوقت الذى اختارته الحكمة .

أما طريق الإبانة فهو الطريق بالمعنى العادى للكلمة، ولا بد فيه من طلب، فرداً صدقت الية فى اطلب وصدقت العزيمة حياء إهداية .

﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١).

وإن قلّة تأسّف إسان - كما يقول ذو النون - على الحق بما تكون من
قلة قدر الحق عنده ، وإدراك عرف الإنسان قدر الحق فيه يسعى في
طلبه .

ما هو أول القدم الصادق في طلب الله سبحانه ؟
إنه الفرار - من كل شيء - إلى الله :
﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢) .

التوبة :

وأول مقام في الفرار إلى الله التوبة الصادقة ، حتى يبدأ المسير إلى
الله على طهر ، وحتى يكون العهد مع الله على ترك المعاصي .
وتوبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص تكون من العملة
يقول ذو النون :

« لله عهد تركوا الذنوب حياءً من كرمه ، بعد أن تركوها خوفاً من
عقوبته » .

« ولو قال لك الله تعالى افعل ما شئت ، فلست آخذت بذنب . لكان
يتبغى أن يزيدك كرمه استحياءً منه ، وتركاً لمعصيته ، إن كنت حراً
كريماً عبداً شكوراً .. فكيف وقد حذرك ؟ »

وهذا الذي يقوله ذو النون إنما سألهم فيه قول رسول الله ﷺ :
« نِعَمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعْصِهِ »
لم يعصه حياءً منه ، وهذا من صفات أصحاب لنفوس الكريمة

(٢) سورة الداريات : ٥٠

(١) سورة الشورى : ١٣ .

المريد:

ومذ أن يبدأ الإنسان الصريق بتوبة الصدقة، يسمى « مُريدًا » .
ويولى ذو النون الصبح للمريد . ومن كلامه
« إياك أن تكون للمعرفة مدّعيًا ، أو بالزهد محترقًا ، أو بالعبادة
متعلّقًا ، وفرّ من كل شيء إلى ربك » .
وتحذير ذي النون من اتّعلق بالعبادة إنما هو توحّيه إلى أُل الرقى
فى مقامات لقرب إنما مرده إلى الله سبحانه ، لا إلى العباد
وبذلك يحب أن يكون تعلّق المريد دائماً بالله ، لا بأعمده
وليس فى صريق الفرار إلى الله عسات ، وذلك أن الرزق مضمون
والرزاق موجود ، يقوى ذو النون معاتباً الدين لا يفرّون إلى الله :
« إن الله رزقنا قوتنا ، وكلفنا دون صفتنا ، فلا بما رزقنا
اكفينا ، ولا بما كلفنا انتمنا » .

ودو النون فى نصائحه للمريدين يحذّرهم - باستمرار - « الدنيا » .
والدنيا فى عرف الصوفية إنما هى الشهوات والأهواء ، وقد عرّف
الله سبحانه عليها بقوله :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا فَكُلُوا مِنْهُم مَّتَى هُمْ يُرْزَقُونَ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كُسُفُوتُهُمْ وَلَا بَدْلُهُمْ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِّ وَالْأُولَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١)

(١) سورة الحديد ٢٠

وَنُفُوسِهِ سَحَابَهُ

﴿ رَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْرِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (١)
ويقول ذو النون :

« استقرت منازل ادُّجى ، وثبتت حُجج الله على خلقه ، فأخذ بحظه ،
ومُضِيعَ لنفسه ، فمذره حكمته وحُجَّتْه كُتُبُه ، فقامت الدنيا بيهجتها
فأقعدت المرید ، وألْهت الغافل ، فلا المرید طلب دواءه ، ولا الغافل عرف
دواءه .

ثم خَصَّ الله خصائص من خلقه ، فعرَّفهم حكمته ، فنظروا من أعين
الغلوب إلى محجوب لغيوب ، فساحت أرواحهم في ملكوت السماء ، ثم
عادت إليهم بأطيب جنى ثمار السرور ، فعند ذلك صرَّوا الدند معبراً ،
والآخرة منزلاً ، هَمَّتْهم وقلوبهم عند ربهم . ولن تفنى النفس إلا بالعلم
بإله »

وقد سئل عن الآفة التي يُخدع بها المرید عن الله ، فقال :
« يُرِيه الألفاف والكرامات والآيات »

قيل له : يا أبا الفيض ، فَمَ يُخدع قس وصوره إسي هذه الدرجة ؟
قال : « بوطء الاعتدب ، وتَعْطِيبِ الناس له ، والنوسع في المجلس ،
وكثرة الأتباع فنعوذ بالله من مَكْرِهٍ وخَدَعِهِ » .

(١) سورة ال عمران : ١٤

قال : وسمعت ذا النون ، وقد سئل :

- ما أساس قسوة القلب للمريد ؟

فقال :

« يبحث عن علوم رضىت نفسه بتعليمها دون استعمالها والوصول إلى حقائقها » .

ومن أهم انواحى التى كان يهتم بها «دو التوب» - هى بصائحه للمريدين - هى « الادعاء » . .

فهو يقول مثلاً :

« كل مدح محجوب بدعواه عن شهود احق .. لأن الحق شاهد لاهل الحق ، لأن الله هو احق ، وقوله الحق ، ولا يحتاج أن يدعى اذا كان الحق شاهداً به . فاما إذا كان غائباً فحينئذ يدعى وإنما تقع الدعوى للمحجوبين »

وقال :

« من ادعى مقاماً حجب به عن الله » .

والحققور لا يدعون يقور دو الور

« كنت السنة المحققين عن الدعاوى ونطق السنة المدعى

بالدعاوى » .

ويصح المريد بالتزام العبودية :

« والعبودية ، ان نكون عبداً فى كل حال ، كما هو ربك فى كل حال »

وإد خرح مريد من حورة الأدب يرجع إلى حيث شاء .

ولكى يستفيد المريد لابد له - مع الأدب - من الوصع . .

يقول ذو النون .

« يا معشر المريدين من اراد منكم الطريق فليلق العلماء بإظهار
الجهل ، وانزهاد بإظهار الرغبة ، والعارفين بالصمت . وذلك : ليزيده
العلماء علماً ، والزهاد زهداً ، والعارفون معرفة »

قال الله تعالى

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ (١) ﴾

ولقد حرص ذو النون - المحرص كله - أن يجعل طريق المريد أول
الأمر طريقاً ربانياً ، فبين المساكين والمهات
لقد بين علامات للاحراف وعلامات القول . عن سعيد بن
عثمان عن أبي الفيض دى النون المصرى ، قال :
« إن لله تصفوة من خلقه ، وإن لله خيرة من خلقه » .
قيل له : يا أبا الفيض ، فما علامتهم ؟
قال :

« إذا خلع العبد الريحه ، وعطى المجهود فى الطاعة ، وانحس سقوط
المنزلة »

قيل له : يا أبا الفيض . فما علامة إقبال الله - عز وجل - على
العبد ؟

(١) سورة توبة ٦٠

قل :

« إذا رأيته صابراً ، شاكراً ، ذاكراً ، فذلك علامة إقبال الله على العبد » .

قيل : وما علامة إعراض الله عن العبد ؟

قل :

« إذا رأيته ساهياً ، لاهياً ، مُعْرِضاً عن ذكر الله ، فذاك حين يُعرض

الله عنه » .

ثم قال :

« وَيَحْكُ ، كفى بالمُعْرِضِ عن الله خسراً ، وهو يعلم أن الله مُقْبِلٌ

عليه وهو مُعْرِضٌ عن ذكره » .

فيل له . يا أبا الميصر ، فما علامة الأنس بالله ؟

قل :

« إذا رأيته يُؤْنِسُ بخلقه : فإنه يُوحِشُكَ مِنْ نفسه .. وإذا رأته

يُوحِشُكَ مِنْ خَلْقِهِ : فإنه يُؤْنِسُ بِنَفْسِهِ » .

ثم قال أبو الميصر :

« الدنيا والخلق لله عبيد ، خضعهم للطاعة ، وضمن لهم أرزاقهم ،

ونهاهم وحذرهم واثروهم ، فحرصوا على ما نهاهم الله عنه ، وطلبوا

الأرزاق - وقد ضمنها الله لهم - فلا هم في أرزاقهم استزادوا ، ولا هم

للمطاعة استجابوا » .

ثم قال :

« عَجَباً لِقُلُوبِكُمْ .. كَيْفَ لَا تَتَصَدَّعُ !! » .. وَلَا جَسَمِكُمْ .. كَيْفَ لَا

تَتَضَعُّعُ !! » .. إذا كنتم تسمعون ما أقول لكم وتعتقلون !! » .

ومن أقواله :

« إن المرید إذا صدق سعيه فيما بينه وبين الله حاله في صدور المؤمنين ، وحلّى ذكره في أفواه المحسنين : شغلهم شغل يغلب على جميع الاشتغال ، وحبهم به بحول بين الأهل والمال »
ويروى عن أسود على المرید ألا يقول شيئاً إلا إذا كان مسنداً إلى حجة من الكتب والسنة ، وفي ذلك يقول :
« أشدُّ المریدين نفاقاً ، من لحظ لحظة ، أو نطق بكلمة بلا حجة استبانها فيما بينه وبين ربه » .

وقال :

« أخفى المرید من نفاقاً : من تكلم بكلمة ، أو عمل عملاً على سبيل العفلة ، ثم سئل عن الحجة في ذلك فاحتج بحجة لم تقع له قبل الفعل استناداً عن أناس واستحسنوا بقوله » .

وستهي هي هدا بهذه الصبحة التي يسديها ذو النور للمريدین
عن العباس بن حمزة ، قال

« دحيت عني ذي النور وعنده نقر من المریدین وهو يقول لهم :
« توسدوا الموت إذا نمتم ، واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم ، كونوا
كماكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا إلى لكم من الآخرة »

الذكر :

إن المرید ، بعد أن يأخذ عني شيخه العهد على الشوكة ، يبدأ فيما
يبدأ به بالذكر .

والذكر في عُرف تقوم ركن مهم من الأركان التي لا بد منها
لشرب من الله سبحانه وتعالى .

ولقد أمر الله تعالى بذكره . إنه سبحانه أمر بالذكر الكثير ، ولم
يحدد له وقت وإنما أطلقه إطلاقاً ، فهو مطلوب في الصباح ، وفي
المساء ، وفي الأصال ، وفي الصبحى ، وفي الليل . وفي كل وقت
ولم يحدد الله سبحانه له حالة بعينها ، فهو مطلوب إذا كان
الإنسان قائماً ، وإذا كان قاعداً ، وإذا كان مضطجعا
وقد جعله الله من صفات دوى الألباب .

ورب الله عليه الكثير من الفرائد للبعد في ديبه وفي أخراه
والاستغفار من الذكر . يقول الله سبحانه في شأنه :

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَاراً ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
أَنْهَاراً ۝ ﴾ (٢) .

ويقول رسول الله ﷺ :

« مَنْ يَرِمِ الْإِسْتَغْفَارَ جَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجاً ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ
فَرَجاً ، وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » .

(١) سورة هود ٩٠

(٢) سورة بقره ١٠-١٢

ويقول - صلوات الله وسلامه عليه - :

« أُعْطِيتُ أَمَانِينَ لَأَمَّتِي » . . ثم تلا :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) .

ثم قرأ « فإذا مضيت بقي الأمان الثاني : الاستغفار » .

وكثرة التمسح من الوسائل المحيية ، يقول سبحانه .

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢)

ويقول سبحانه

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (٣)

و لصلاة على رسول الله ﷺ من الذكر ، وعنهما يقول الشاعر :

إذا كنت في ضيق وهم و فاقة وأمسيت مكروباً وأصبحت في حرج

فصل عني المختار من آل هاشم خبيراً : فإن الله يساتيك بالفرح

أما الفائدة تكرر للذكر الصافي المحض ، فهي القرب من الله سبحانه .

والصوفية يستعملون الذكر للقرب من الله تعالى

ولدى نون الكثير فيم يتعلق بالذكر . . إنه يقول

(٢) سورة الصافات ١٤٣ ، ١٤٤

(١) سورة الأنعام : ٣٣

(٣) سورة الفلم . ٢٨

« من القلوب قلوب تستغفر قبل أن تُذنب؛ فتُتاب قبل أن تُطيع »

ولقد سئل عن الذكر ، فقال :

« هو غيبة الذاكر عن الذكر » .

ويشول

« من ذكر الله ذكراً على الحقيقة : نسي في جنب ذكره كل شيء ،
وحفظ الله عليه كل شيء ، وكان له عوضاً عن كل شيء »
ومن كلام ذي النون :

« من استانس بسىء من الدنيا لم يجد صافي لذة بذكر مولاه » .

وقال أبو جعفر المعري . سمعت ذا النون يقول .

« إذا أكرم الله عبداً ألزمه ذكره ، وألزمه بابه ، وتعرف إليه بالبر
والفوائد . ومدّه من عتده بالزوائد ، ويصرف عنه تشغال الدنيا ،
ويصرف عنه البلايا ، فيصير من خواص الله وأحبابه . فطوبى له
حياً وميتاً .

لو عم أنباء الدنيا بحظّ المقربين وتلذذ الذاكرين وسرور المحبين
لماتوا كمّداً » (١) .

وقال ذو النون :

« من المحال أن تجد طعم ذكره ، ثم لا يشغف به عما دونه » .

وكان ذو النون يسه إى أن من علامة إعراض الله عن العبد :

« أن نراه ساهياً . لاهياً . لاعياً ، مُعرضاً عن ذكر ربه . تتقلّ عليه
مُجائسة الذاكرين » .

(١) أحرجه البيهقي

وكن ينيه أيضاً إلى أن .

« لكل قوم عقوبة، وعقوبة العارف نقصاً عنه عن ذكره »

وروى عن يوسف بن حسين قال سمعت ذا النور يقول

« من ينال أحد اليقين في المعرفة والتوكل إلا بدوام ذكر الله بالقلب،

وكثرة مناجاته ، وقطع ما شغل اقلوب عن ذكر الله ، والله ولي

المؤمنين » .

الورع:

ونعود إلى التوبة من حديد ونتحدث عن ثمارها . .

إن التوبة إذا صدقت استتعت - لا محالة - الورع .

والورع هو تحريُّ الحلال في كل شيء ، وبه شأنه العظيم في

التقوى ، وفي تنوير القلب .

ولمحدث رسول ﷺ عن تحريُّ الحلال متسلفاً مع القرآن

الكريم في ذلك :

عن عطاء عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند نبي ﷺ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ (١) فقال سعد بن

أبي وقاص ، فقال : يا رسول الله ، أدع الله أن يجعلني مستجاب

الدعوة ، فقال ﷺ :

« يا سعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد

بيده ، إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين

يوماً ، وإنما عبد ثبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به »

(١) سورة البقرة ١٦٨ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « يا أيها الناس .. إن الله طيبٌ ، لا يقبل إلا طيباً .. وإن الله أمر
 المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقال

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (٢)
 ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ومطعمه حرام ، ومشربه
 حرام وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، يعدُّ يديه إلى السماء . يا رب
 يا رب ، فأنى نستجاب لذلك (٣) .
 ويقول ذو النون :

« من لم يفتش على الرغيفين من الحلال لا يفلح في طريق الله - عز
 وجل - » .

ودو النون - متاعاً لقرآن والسنة - لا يقصر الورع على جانب
 المدى ، وإنما يعممه على كل شيء ، فقد قال له رجل مره
 - إن امرأتى تقرأ عيبك السلام . فقال ﷺ .
 « لا تقرئونا من النساء السلام » .
 إنه يحب أن يعيش في سلام مع قلبه ونفسه

(٢) سورة البقرة : ١٧٢

(١) سورة المؤمنون : ٥١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، والترمذي في جامعه ، والإمام أحمد في مسنده

على أن أمر الورع المدي سهل بالنسبة لذى النون ومن اتبعه على طريقته، لقد وصل ذو النون بالحياة المادية بالنسبة للمريد إلى حدها الأدنى، إنه يقول للمريد:

« من طلب مع الخبز ملحاً يأكله لم يفلح فى الطريق أبداً »
وكن ذو نون يعنى بذلك ألا يكلف الإنسان شيئاً، فإذا وجد الخبز لحلال فمفيه الكفاية، ولله الحمد والشكر، وإذا وجد دون طلب - مع الخبز شيئاً آخر فإن فصل الله عصيم وله الحمد والشكر .
وكن ذو النون يحذر دائماً من لجرى وراء شهوة الطعام، إنه يقول:

« لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاماً » .

وكان يقول:

« ما شبعنا من الطعام - قَطُّ - إلا عصيت أو همت بمعصية » .
ولكن الأمر الشاق فى لورح هو الجانب الروحى، وهذا لابد له من جهاد انفس حتى تتزكى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (١)

وهذا النوع من الجهاد مارسه ذو النون حتى تغلب على نفسه وهواه، وسبى - بفصل الله - عليهما، وقال كلمته التى صدرنا بها هذا الكتاب:

« كيف لا أبتهج بك سروراً، وقد كنت أكدحُ ببيانك حتى جعلتنى من أهل التوحيد » .

(١) سورة الشمس ٩

الزهد:

يرد صدق الإنسان في الورع فده ذلك إلى الزهد، والزهد هو
نحو قوله تعالى

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (١)

إيه عدم تعلق القلب بالدني، أو هو سيطرة الإنسان على دنياه
بحيث لا تستعبده . . إنه

ألا يملكك شيء ولا يستعبدك شيء .

نقد تحدث ذو لب عن الزهد ، ويس بعض معريشات الناس له ،
يقال

« اعلموا - حواشي - أن أساس قد تكلموا في الزهد بعد محاسبة ،

فبعضهم قال :

« الزهد ترك حبّ المفزلة » .

وقالت طائفة :

« الزهد ترك راحة النفوس من جميع ما تستريح إليه »

وقالت طائفة .

« الزهد ترك ما شغل عن الله »

وقالت طائفة

« الزهد رقص الدنيا وقصر الأمل » .

وقالت طائفة

« الزهد الثقة بالله »

(١) سورة الحديد ٢٣

وقالت طائفة :

« الزهد الإيثار لله وترك كل ما شغل عن الله » .

وقالت طائفة :

« الزهد إخراج المخلوقين من القرب، وحب الخلوة »

ولعل دا التون كن يرى أن كر هذه التعريعات صادقة، والوقع أنه لا يتأتى أن يكذب الإنسان تعريماً منها . فكلها موحهة إلى الخير ، وإلى الرشد . بيد أن دا التون يصيف إليها . ها وهناك . توصيحاً جديداً لبعض زواياها . . ولقد قال :

« اعلّموا أن صفة الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود »

وقال

« سلب الغنى من حرم الرضا، ومن لم يقعه اليسير افتقر في طلب

الكثير » .

وقال :

« من وثق بالمقادير لم يغتم » .

وقال :

« من عرف الله رضي بالله وسراً بما قضى الله »

وقال :

« عليك بالقصد . فإن اسرّضاً بقليل الرزق يزكى يسير العمل » .

ومهم يكمن من أمر الزهد، ومهما يكن من منزلته الرفيعة في التقوى، فإنه ليس إلا مرحلة في الطريق . يقول دا التون عن الزهاد :

« الزُّهْدُ مُنُوكَ الْآحِرَةِ ، وَهُمْ فَقَرَاءُ الْعَارِفِينَ »

ومرة أخرى يقول :

« وَهُمْ مَسَاكِينُ الْعَارِفِينَ »

الزُّهْدُ مرحلة ، إنه مرحلة صِروْرِيَّة ، وهو يُسَمُّهُ بِأَيِّ التَّوَكُّلِ .

التَّوَكُّلُ :

و يتوكل من مِمَمَاتِ السَّمِيَةِ ، ولمد وعد الله سبحانه أن يكون

حَسْبُ الْمُتَوَكِّلِينَ ، فقال :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (١)

ويشرح ذو النُّون بعض جوابات التَّوَكُّلِ فيقول - كما رواه يوسف

ابن الحسين :-

« بِنِائِهِ خَصْرَ أَهْلِ وِلَايَتِهِ بِالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ ، لِيَعْرِفَهُمْ فَصْلَهُ وَبِحَسَانِهِ

فَانْصَرَفَتْ هُمُومُ الدُّنْيَا عَنْ قُيُوبِهِمْ ، وَعَظُمَ شُغْلُ الْآحِرَةِ فِي صُدُورِهِمْ ،

لَمَّا رَكِبَهَا مِنْ هَيْبَةِ رَبِّهِمْ ، فَالْزَمُوا قُلُوبُهُمُ الْعُبُودِيَّةَ ، وَطَرَحُوا أَنْفُسَهُمْ

فِي سَاحَةِ التَّوَكُّلِ » .

قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٢)

« فالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ قَدْ اكْتَفَى - بِعِيَمِهِ بِاللَّهِ - عَنِ الْإِسْتِغَاثِ بِغَيْرِهِ ؛

حَتَّى اتَّصَلَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ بِاللَّهِ ، لِأَنَّهُ لَا مَانِعَ وَلَا مُعْطَى إِلَّا اللَّهُ ، فَلَمْ

تَرْغَبْ عَنِ اللَّهِ بِجَهْلِكَ ؛ فَتَخْضَعْ لِمَنْ دُونَهُ عِنْدَ تَخْوِيفِ الشَّيْطَانِ ؟...»

(١ ، ٢) سورة الطلاق ٣٠

واعلم أن أخصر المتوكلين عليه ، يحجب عنهم كل أمانة ، فهم ينظرون إلى الله تعالى ، ولا يأملون غيره ، فقد حجب قلوبهم عن سواه ، بما يرجون من إحسانه ، واستغنوا بذكره عن ذكر غيره
واعلم أنك لا تكون متوكلاً حتى تصفو من كل مالك ، ولا ترى إلا الله وحده ، ولا تقدر أن تفر من رزقك ، كما لا تقدر أن تفر من الموت .
أما سمعت الله بقول:

﴿ اللَّهُ لَدَى خَلْقِكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (١)

فاقطع الاشتغال بذكر الأسباب من قلبك ، واعلم أن الله يرزقك بسبب وبغير سبب ، إلا ترى أنه وعدك أن يرزقك ، وغيب عنك علمه ، ولو احتلت - بكل حيلة - أن يأنيك قبل وقته أو بعد وقته لم تقدر على ذلك فيما قصد لك ، لا يمنعك غيره .

« والنوكل يريد وينقص مثل الإيمان »

أما قوله :

« فاقطع الاشتغال بذكر الأسباب من قلبك » . فإنه هو وما مثله من تعيرات التي تحدث عن التوكل ، قد أثار الكثير من سوء الفهم ، ومن الخلل بالشيء عن سوء الفهم .

إن رسول الله ﷺ وكر الصحابة من أمثال أبي بكر صديق ، وعمر ، وحيد بن الوليد ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص صديق أجمعين وغيرهم ، كانوا من كبار المتوكلين على الله سبحانه ، وكانوا - وعلى رأسهم الرسول ﷺ - يتحدون لكل أمر

(١) سورة الروم ٤٠

عدته ، فى الحرب ، وفى السعى على المعاش ، وفى تدبير الأمر الذى
يوكل إليهم .

وكل ذلك أتباعاً لتوجيهات القرآن الكريم :

﴿ فَاَمْشُوا إِلَىٰ مَا كُتِبَ عَلَيْكُم مِّن ذَرْبِهِ ۖ وَقُلُوا مِمَّا أَذِنَ لَكُم ۚ وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ فَسْخَافُوكُم بِالْأَسْوَاقِ ۚ وَالْأَسْوَاقُ خَالٍ ۖ وَالْمَرْءُ عَنِّي عَنَّا ۚ فَالْمُتَّقِينَ هُدًى أَسْفَلُ الْأَسْفَلِينَ ۚ ﴾ (١)

﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ۚ ﴾ (٢) .

﴿ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنَتْنُونَ مِنْ قَاصِلِ اللَّهِ ۚ ﴾ (٣)

لقد اتخذ أسلافنا رضوان الله عليهم الأسباب لكل أمر ، والعدة
لكل حادث . ولكم لم يعتقدوا . فى يوم من الأيام . أن الأسباب
هى الفاعلة ، إنها ليست إلهاً ، ولتفاعل الحق هو الله سبحانه
ومن هنا كان .

« إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله » .

إن الأسباب ليست مؤثرة بنفسها ، وكل أمر مرجعه إلى الله .

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۚ ﴾ (٤)

إن الصالحين يتخذون لكل أمر عدته ، ولكم لا ينسبون أن
التفاعل هو الله ، إنهم لا ينسبون الله فى ابتداء . فهو الموفق ،
ولا ينسبون الله فى الوسط . فهو الميسر ، ولا ينسبون الله فى
الآخر . . فإليه المصير :

(٢) سورة الأنفال : ٦٠ .

(١) سورة الملك : ١٥ .

(٤) سورة هود : ١٢٣ .

(٣) سورة المزمل : ٢٠ .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُورِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنْ لَمْرٍ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) ﴿ (١)

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبَا وَقَضًّا (٢٨) وَزَيَّنَّاهَا وَأَخْلَأَ (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلًّا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) ﴿ (٢)

و نظر معي إلى قوه تعالى .

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُسْـَٔرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿ (٣)

وايات الجهد فى القرآء ، وايات العمل ، وايات كسب الرزق
 إن كل ذلك حث على لأخذ الأسباب

(٢) سورة عيس . ٢٤ - ٣١

(١) سورة الواقعة ٥٨ - ٧٢

(٣) سورة التوبة : ١٤

ومع ذلك فإن السبب الأول والعامل الأخير مرده إلى الله
ولقد كافح رسول الله ﷺ كصاح الأبطال متخذاً الأسباب هي
الصعبر والكثير من ألوان كفاحه ، وكان هي كل خطوة من خطواته
معتمداً على الله تعالى .

وفى ضوء ذلك ينبغي أن ننهض فكرة التوكل عند الصوفية
أما ثمرة التوكل . فإنها الاطمئنان إلى النتائج ، وكان العبد
يقول : يا رب ، هأنذا قد بذلت كل ما أستطيع بوسائلي التي أملكها ،
لم أقصر في ذلك ، والتمسحت إليك وأنت الحكيم لرحيم ، عليك
توكلت وإليك أئيب ، إني واثق في حكمتك ، مطمئن إلى رحمتك ،
راض بقضائك .

ويقول ذو النون في التوكل :

« من توكل وثق ، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه »

وسأله رجل فقال :

يا أبا الفيض ، ما التوكل ؟

فقال له :

« خلغ الأرباب ، وقطع الأسباب » .

فقال له : زدني فيه حالة أخرى ؟

فقال :

« إلقاء النفس في العبودية ، وإخراجها من لربوبية » .

وإذا صدق التوكل أسلم إلى الرضا . .

الرّضا:

وارضا هو التسليم لكامل القلى لكل ما يأتى عن الحكيم
الرحمن . . إنه منزلة:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (١).

ولس تجد ببر المسلمين من لا يعترف بأن ارضا مقام سام ، وأنه
المقام الذى يحب أن يكون عليه كل مسلم ، وذلك أن كل مسلم
يعترف بأن الله أحكم حاكمين ، وأنه رَحِمَ الراحمين ، ومن كان
كذلك فلا بد من ارضا بقضائه

وقد يجد الإنسان من يحادل فى مقام الرهد ، أما فى مقام
الرضا فلا تحد نظرياً - من يحادل فيه ، بيد أن واقع الناس يختلف عن
نظرياتهم ، فواقع الس هو عدم الرضا ، وكل صغيرة وكبيرة إنما هى
محل شكوى ، وقليل جداً من يقول فى كل حوله الحمد لله .

وإذا قالها فيما يرصيه فإنه لا يقولها فيما لا يتفق مع هواه

وإن لذى النور عن مقام الرضا الكثير من المعانس ، إنه يقول

« طَوَّبَى لِمَنْ أَنْصَفَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ »

قيل : وكيف ينصف ربّه ؟

قال :

« يقرُّ له بالافات فى طاعته ، وبإسجهم فى معصيته ، وإنْ أَخَذَهُ بِدَنُوبِهِ

رَأَى عَدْلَهُ ، وإنْ غَفَرَ لَهُ رَأَى فَضْلَهُ ، وإنْ لَمْ يَتَّقِبَلْ مِنْهُ حَسَنَاتِهِ لَمْ يَرِهِ

(١) سورة المائدة ١١٩

ظالمًا لما معه من الآفات ، وإن قبلها رأى إحسانه لما جاد به من الكرامات »

ويقول :

« لم يحب الله من لم يرّض بقدره ، ولم يرّجُ الله من لم يثق بقسمه »
وقال :

« مَنْ وثق بالمقادير لم يفتن » .

وعن يوسف بن حسين قال : سمعت ذا النون يقول :

« من قال : بو...لكان ، فقد وَلَّى الأمر غير الله » .

فإذا استمر المتصوف في مقاماته مع « الذكر » سلمه ذلك إلى معرفة الله بالله .

المعرفة :

وذو النون يقسم المعرفة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

حظ مشترك بين عامة المسلمين .

القسم الثاني :

معرفة خاصة بالفلاسفة والعلماء .

القسم الثالث :

وهو لعلم بصفات التوحيد خاص بالأولياء الذين يرون له يقلوبهم .

ولقد سئل ذو النون عن كمال العقل وعن كمال المعرفة فقال :

« إذا كنت قائماً بما أمرت، تاركاً لتكُلف ما كُفيت، فانتت كامل العقل.
وإذا كنت بالله - عز وجل - متعلقاً ، وغير ناظر إلى سواه من أحوالك
وأعمالك ، فانتت كامل المعرفة »

أما أغلب الأحوال التي استعبد الله سبحانه بها العارف ، فهي
بحسب رأى ذى النون :

* رؤية كل شيء منه.

* ورجوعه فى كل شيء إليه.

* وسؤاله إياه كل شيء .

والعارف - كما يقول ذو النون - لا يلزم حالة واحدة ، إنما يلزم ربه
فى الحالات كلها .

أما عبادة العارفين ، فعنها يقول :

« إن لله عبادةً عبده بخالص من السرّ فشرّفهم بخالص من شكره،
فهم الذين تمرّ صحفهم مع الملائكة فرعى ، حتى إذا صارت إليه ملأها
لهم من سرّ ما أسروا به .

إن حظ العارفين فى الأشياء « هو » .. ومن أحر ذلك لا يزالون ما

فانهم، مما هو دونه، والعارف فى كل يوم أخشع، لأنه كل ساعة أقرب»

وسئل ذو النون : سم سرف العارفين ربهم ؟

فقال :

« إن كن يشيء فبِقَطْع اطمع ، والإشراف منهم على اليأس ، مع

التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها، وبذل المحمود من أنفسهم ،

ثم إنهم وصلوا - بعد - إلى الله بآله » .

وقال

« ان العارف سيفنى برمه.. فمن عني صه ؛ وورثه ذكره، واتخه

بعضائه ؛ فاسداس به »

أما رسالة العارفين فهي

* نشر « لا إله إلا الله » في مجالس الذاكرين

* وتفريج كُرب اتوائين.

* والدلالة على الله بلسان التوحيد لجميع العالمين .

ومع كل ذلك فإن لكل قوم - كما يقول ذو سوز - عقوبة، وعقوبة
العارف انقطاعه عن ذكر الله .

وبدا ما وصل الإنسان إلى « المعرفة » فقد أصبح صوفياً

* وهما يمكن أن ننسأه:

- إذا ما وصل إلى المعرفة هل يأتي أن يتكسر ؟

- يمكن أن يتكسر الصوفي فيصبح من أهل مدي ؟

عن ذلك يقول ذو النون :

« ما رجع مَنْ رجع إلا من الطريق ، وهو وصلو إليه ما رجعوا .

فازهد في الدنيا ثم العجب » .

إن العارف لا يتكسر ؛ لقد قطع المفاهيم التي تربطه بالدنيا ، إنه

أصبح ردياً ، وأصبح قلبه حالياً كما سوى الله سبحانه ، إنه أصبح في

سعادة بالله ، أو أصبح - على حد تعبير ابن سينا - مبهجاً بالله ، إنه

وصل إلى الحالة التي يقول فيها الصوفية :

« نحن في سعادة لو علمها الملوك خالدون عليها سيوفهم »
 إنها السعادة التي أثرها إبراهيم بن أدهم ^{رحمته} على ملأ الدنيا
 كاملة موهورة، وإياها السعادة التي أثرها ^{رحمته} فصيل بن عياض على حياة
 الفتوة ولشطاره، وأمجاد القوة والغلبة، وهي السعادة التي يؤثرها
 كل من وصل إليها على ما عداها .
 أيتكسر ؟ . كلاً وحاش لله أن يتكسروا من وصلوا إليه
 إن مقام المعرفة هو مقام الواصلين، وعن هذا المقام يستو مقام
 المحبة .

المحبة :

يقول ذو النون :

أموت . وما صلت إليك صبابتي ولا رويت من صرف حبك أوطاري
 مضى المني كل المني .. أنت لي مني وثقت الغنى كل الغنى : عند إقتاري
 وأنت نهى سؤالي وغاية رغبتني وموضع شكواي ومكنون إضماري
 تحمل قلبي - فيك - ما لا أبثه وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
 وبين صلوعي منك ما لا قد بدا . ولم يند باديه لأهل ولا جبار
 أنرت الهدى لمهتدين ولم يكن من النور في أيديهم عشتار
 فنلني بعفو منك : أخيا بقربه وغنني بئسر منك يطرد إفساري

ويربط ذو النون المحبة والذكر . فعن سعيد بن عثمان ، قال :
 سمعت ذا النون يقول :

« ويَحُدُّ . مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عَلَى الْحَقِيقَةِ نَسِيَ فِي حُبِّهِ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ
نَسِيَ فِي حُبِّهِ كُلَّ شَيْءٍ حَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَكَانَ لَهُ عَوْصاً فِي كُلِّ
شَيْءٍ » .

ويعتبر دور النور محبة الله سرّاً لا يحور احراص فيه لتلاّ يسمعه
اعوام ، وقد تذاكر الثوم المحبة في مجلسه ، فقد

« كَفُّوا عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ حَتَّى لَا تَسْمَعَهَا الذُّفُوسُ فَذَعْبِهَا » ثم انتد:

الْخَوْفُ أَوْلَى بِالْمُسَىءِ إِذَا بَالَهُ وَالْحَزَنُ
وَالْحُبُّ يَجْمَلُ بِالنَّفْسِ وَبِالنَّفْسِ مِنَ الدَّرَنِ

وهذا الموقف هو موقف المقدّس للمحبة الذي يصل تقديسه بها
إلى السمو بها حتى عن الحديث عنها .

وكان دور النور يهيجه السماع ، إذ اتصل بحب الله سبحانه ، فقد
حدثوا به لما دخل بغداد اجمع به الصوفية ومعهم قوَال منشد
فاندا يشد

صَغِيرٌ هَوَالٍ عَذْبِي فَكَيْفَ بِهِ إِذَا احْتَكَمَا
وَأَنْتَ جَمَعْتَ مِنْ قَلْبِي هَوَى قَدْ كَرَّ مَسْرُكَا
أَمَّا نَرْتِي لِمُكْنَسَتِ إِذَا ضَلَّحَلِ احْلَى بِكِي

فانتشى دور النور ، ومن سدة شوته سقط على وجهه وطل الدم
يقصر منه وهو لا يدري

وحب الله على خُفِيَّةِ عِلَامَاتِ مَيِّ مَا حَدَثَ بِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ
ابن عبد الله بن ميمون قال سمعت دور النور يقول

« قل لمن «طهر حب الله» احذر من بدل لغبر الله ومن علامه المحب
له الا يكون له حاجة إلى غير الله »

ومنها ما حدث به سعيد بن عثمان قال : سمعت رسول يقول
« من علامه المحب لله ترك كل ما سئل عن الله حتى يكون الشغل
كله به له » (١).

وبصف رسول مدى تعق محبين بربهم فيقول
« خوف النار إذا قيس إلى خوف لقطع عن المحبوب ، كفطره الماء
تهدف في اعظم المحبطات ».

الود :

وعن المحبة شئ حو ب عدة ، فعنها شئ حال « الود » وهو حال
من حالات شريعة السامية ، ويعد سمي الله محبة « الودود »
ويقول على لسان أحد رسله .
﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٢).

و صفة كثيرة ما يلجأون إلى هذا الاسم الشرح في دعائهم ،
ومن ذلك قول شاعرهم

وَمَنْ عَلِمْنَا يَا وَدُودُ جَدَّةَ بِهَا نَحَقُّ الْأَهْوَامَ مَنْ سَارَ قَبْلَنَا

وعن لواء يقول ذو النون :

« الحب لله عام ، والود لله خاص : لان كل المومنين بذوهون حبه
وننالونه ، وليس كل مؤمن نعال وذه »

(١) اخرج في البيهقي في «الرهدة» ٢ سو ج ٥٠

ثم أنشأ يقول :

من ذاق طعم الوداد حمر جميع العباد
من ذاق طعم الوداد خلى لذيذ الرقاد
من ذاق طعم الوداد سقى طريق العباد
من ذاق طعم الوداد أنس برّب العباد

وعن المحبة ينبثق حال الأنس بالله . .

الأنس :

ويقول ذو النون عن ذلك

« الأنس بالله من صفاء القلب مع الله ، والتفرّد به . الانقطاع من كل شيء سوى الله »

وفي تاريخ ابن عساكر عن أحمد بن قطر بن أبي قطر ، قال
سئل ذو النون - وأنا حاضر عنده - :

- متى يجد العبد حلاوة الأنس بالله عز وجل ؟
قال

« إذا قطع العلائق ، ورفض الخلائق ، وكان من أمر الحقائق ، وعمل

بالرقائق ، فحينئذ ينجو من البوائق »

وقال :

« إذا أحب القلب الخوفة ، فقد أوصه حب الخلوة إلى الأنس بالله ،

ومن أنس بالله استوحش من غير الله . فله در قلوب أنست بجلال
الله ، وارتعدت فرعاً لهيبته » .

وعن البرقي قال : سمعت ذ النون يقول :
« الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالخلق غم واقع » .
ولقد وصل ذو النون بالأنس بالله إلى منزلة يقول عنها :
« أدنى منازل الأنس أن يلقى في النار فلا يغيب عن مأموله »

الشوق .

أما عن الشوق فيقول ذو النون :
« اشتوق أعلى الدرجات والمقامات ، إذا بلغه استبطأ الموت شوقاً إلى
ربه ، وحباً للقائه والنظر إليه »
وعن أحمد بن يوسف قال :
سئل ذو النون عن استحقاق الاشتياق ، فقال :
« إذا استحقق الاشتياق قُرْباً من باب الخلاق ، وشرب من كأس المذاق ،
فَشَاقَ واشْتَاقَ » .
وهذه كلمات تلقى بعص الصوء على ما سبق أن ذكرناه في باب
التصوف :

« سأل أبو عبد الله بن سهل ذو النون . قال . متى أتوكل ؟
قال :

اليقين إذا تمَّ سُمِّيَ توكُّداً .

قلت : متى يتم حبي لربي ؟

قال :

إذا سُمِّجَتِ الدنيا في عينيك ، وقُدِّفَتِ أمم فيها بين يديك .

قلت : فمتى أخاف ربي ؟

قال :

إذا سرحت بصرك في عظمته ، ومثلت لنفسك أمثال نعمته .

قلت : فمتى ينم صومي ؟

قال :

إذا جوعت نفسك من البعضاء ، وأمت لساك من العشاء .

قلت : فمتى أعرف ربي ؟

قال :

إذا كان ما أسخطه عندك امر من الصبر .

قلت : فمتى أشتاق إلى ربي ؟

قال :

إذا جعلت الآخرة لك قراراً ، ولم تسم الدنيا لك مسكناً وداراً

قلت : فمتى أشتد في بغض الدنيا ؟

قال :

إذا جعلت الدنيا طريقاً محافاً لا تلبث إلى ما قطعت منها ، وجعلت

الآخرة ساحة مأمونة لا تامن إلا بالخزول فيها .

قلت : فمتى أحب لقاء ربي ؟

قال :

إذا كنت تقدم على حبيب ، وتصبر عن أمر قريب .

قلت : فمتى أستلذ الموت ؟

قال :

إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك ، وجعلت الآخرة تُصَبَّ عينيك .
قلت : فمتى أُنْقَى شهوات معد عم الأرض ؟

قال :

إذا خَاطَ قلبك الملوكوت ، ومُزِجَ في سرائر الجبروت .
قلت : فمتى تطيب معرفتي ؟

قال :

إذا استوحشت من الدنيا واشتدَّ فرحك بنزول ابلاء .
قلت : فمتى سَتَقِمْ لَدِيَا ؟

قال :

إذا علمت أن ريندها فساد كل معنى ، وأن محاسنها تُفْضِي بِى كى
حسرة .

قلت : فمتى أكتفى بأهون الأغذية ؟
قال :

إذا عرفت هلاك الشهوات ، وسرعة انقطاع عدوبة اللذات .
قلت : فمتى القنوع التام ؟

قال :

إذا كان زخرف الدنيا عندك صغيراً ، وكان خوف الآخرة لك ذكراً
قلت : فمتى أمر بالمعروف ؟

قال :

إذا كانت شفقك على غيرك ، وخاضعت العباد لمحبه ربك

قلت . فمتى أُوثر الله ولا أُوثر عليه سواء ؟

قال

إذا ابغضت فيه الحبيب ، وجانبت فيه الغريب .

قلت : فمتى أفزع إلى ذكره ، وأنس بشكره ؟

قال

إذا سررت ببلائه ، وفرحت بدول قصده .

الخلوة :

• حديث عن « لُصوف » يكون ف صراً ، إذا لم يتحدث عن « الخلوة » .

وما من شئ في أن الخلوة فترة من الزمن ضرورة للمريد . إنها تصرفه إلى الله صرفاً كلياً ، فتصمومُ رُسته ، ويستتيرُ نفسه بالذكر المتوالي ويرى في خلوته ونُملاته لسياً على حقيقتها «متاع العزور» .
ويقرب من الله في خلوته بسجوده وبصفاء سريرته .

ولقد كتب السهروردي في كتبه « عوارف المعارف » فصلاً حميمة عن الخلوة وشروطها وأدكارها ، وكتب غيره عنها والناس - عادة - يستحمون حجاباً كل عام ، وإياهم استحمهم الروحي - ولو أسبوعاً واحداً - أوجب لهم وأفضل أثراً لمحتممهم ، وأهدى إلى الرشده .

وينبغي دو البول عن الخلوة

« لم أر شيئاً يفتّ لطلب الإخلاص من الوحدة : لأنه إذا خلا لم ير غير الله ، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله . ومن حب الحياة فقد تعلّق بعمود الإخلاص ، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق ، ومن تزيّن بعمله فحسناته سيئات » .

ولكن إذا اسود حينما تمكّن برز الإخلاص من نفسه قال .

« ليس من احتجب عن الخلق بالحلوة كمن احتجب عنهم بآسه »

سر الملكوت :

في هذه الكلمة بين دولاب سر الملكوت ، وهي كلمة من الصفاة بحيث رأينا أن جسم به فصل الصوف ، حتى تكون حاشية لهذا الفصل . .

يقول أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن هاشم

فلت لذى النون :

كم الأبواب إلى الفطة ؟

قال .

« أربعة أبواب أولها الخوف ، ثم الرجاء ، ثم المحبة ، ثم الشوق ..

ولها أربعة مفاتيح .

فالفرص مفتاح باب الخوف ، والناقلة مفتاح باب الرجاء ، وحب العباد مفتاح باب المحبة ، وذكر الله اندائم باقلب واللسان مفتاح باب الشوق ، وهي درجة الولاية .

فإذا هممت بالارتقاء في هذه الدرجة ، فتناول مفتاح باب الخوف .
فإذا فحنته اتصبت إلى باب العطية معثوجاً لا غلق عليه ، فإذا دخلته
فما أظنك نطيق ما ترى فيه ، حبيد يحور شرقك الأسراف ، ويعلو
مُلْكُ مَلِكِ الملوك.

و علم - يا أخى - أنه ليس بالخوف بُنال الفرص ، ولكن بالفرص
بُنال الحوق ، ولا بالرجاء تُنال النافلة ، ولكن بالنافه بُدل ارجاء ، كما
أنه ليس بالأبواب تُنال المفاتيح ، ولكن بالمفاتيح تُنال الأبواب .
واعلم أنه من يكمل فيه انْفِرَاضُ عهد يكامر فيه انْخُوفُ ومن جاء
بالنافلة فقد جاء بالرجاء ، ومن جاء بمحبة العبادة فقد وصل إلى الله ،
ومن شغل قلبه ولسانه بلذكر ' قَذَفَ الله في قلبه نور الاشنياق إليه ،
وهذا سرُّ الملكوت فاعلمهُ واحْفَظْهُ حتى يكون الله - عز وجل - هو الذى
يُناوله من يشاء من عباده »

صاحب الكرامات

لقد كتبنا عن الكرامات كثيراً على بعض كتبنا، فلا يعيد ما سبق أن كتبنا، ويكفينا هذا أن نقول

إن القرآن الكريم ذكر الكثير من الكرامات، وكثير من المعجزات فكل مسلم - دين - يؤمن بها . إن الإيمان بها جزء من الإيمان الإسلامي

وهذا يهتصر خلاف عند المسلمين في صحة الرواية وهي دقة النقل، فمن اعتقد بصحة الرواية ودقة النقل سلم بالكرامة، ومن شك في الصحة أنكر، وكلاهما يؤمن مع القرآن بأن الله قد أحصى الكثير من المعجزات على أيدي الأنبياء، والكثير من الكرامات على أيدي الصالحين .

وقد رويت عن ذي النون كرامات كثيرة، وروى الشيخ الأكرع عنها . ومما رواه الشيخ الأكرع بذكره صاحب " تكواك السرية " بقوله :

" ومن مقاماته الموثقة، وأحواه المدهشة الخارقة، أن روحه الشريفة كانت تدبر أحسب متعددة، فقد قال العارف ابن عربي الروح الواحد يدبر أحسب متعددة، إذ كان له الاقتدار على ذلك، ويكون ذلك في الدبر يوسى بحرق العدة، وهي الأجرة نشأة الإنسان تعطى ذلك .

قل . وكان ذو النون المصري، وقصيب لسان، ممن له هذه القوة، كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن، من يدور حن وسمع وبصر، وكل تواجد النفس بأفعال الحوارح على ما وقع منها، فكذلك

هذه الاحسام لتي تدبرها روح واحدة، أى شىء وقع منها يسأل عنه
دب الروح الواحد، وإن كان غير ما يقع من هذا الجسم عين ما يقع
مع الآخر... اهـ .

وروى ابن ماكويه فى كتاب «أحبار العارفين» عن أبى لعباس
قال :-

كنت مرآة مصير، فرأيت خلقه، فإذا راحل تعلق بآخر، والدم
يسيل على ثيابه، فوقف عليهم ذو النون وقال ما لك ؟..
فل . هذا كسر صرسي ، فأحد صرسه ووضعته فى مكانه وقرأ
عنه ، فإذا بالصرس كما كان ، فلم تفرق السس عنه تعلقت
به ، وقلت :

« أرى معك اسم الله الأعظم » فقال . « تفتح عني » فقلت .
« لا أفاقك أو تعلمنيه » فأقبل على وقال .

« يا هذا ، إذا رقق قلبك فدع بما شئت ، فذاك اسم الله الأعظم » .

وعن أبى عبد الله بن الحلاء ، قال .

« كنت مع دى النون بمكة ، فوجد أيماء ، فقام يوماً ذو النون قبل
الظهر ، فصعد الحبل للظهرة ، وأمامه أحمل اء ، فرأيت مشور
الموز فى الوادى . فأخذت قطعتين أو ثلاثاً ، فقلت : إذا ساعد الشيخ
لظهرة أكل هذا ، فلم يصعدا حين وتساعدنا عن لباس فل أرم
قشور الموز، فرميت ، فمضى وهرغ من وصوته ، ورجعنا إلى المسجد
وصلينا وجلسا ، وإذا شاب يجىء ومعه طبق ، فقال له الشيخ
اتركه . ثم قال لى . كنه . قلت . وحدى ؟ فقال . انت طلبته ، وأنا لم
أطلبه . فأكلت وحدى وأنا خجل .

السائح

ذكر الله تعالى من أوصاف المؤمنين أنهم « السائحون » فمن هم السائحون ؟

أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة ، أنهم : طلبة العلم ؛ لأنهم يسبحون في الأرض لطلبه .

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ائذن لي في السياحة ؟

فقال النبي ﷺ :

« سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله » .

إن كلمة « السياحة » كلمة شريفة ، وصف الله سبحانه وتعالى بها المؤمنين ، وهي تدل على معنيين :

أحدهما : السفر من أجل طلب العلم .

وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أشد بالعلم ولعلماء في كتابه العزيز ، ورسول الله ﷺ تحدث عن العلم والعلماء ، وبير أن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أحده أخذ بحظ وافر

ولقد سافر علماء الإسلام من أجل طلب العلم أسفاراً ، هي من أكثره بحيث لا يستطيع عدُّها .

وأما المعنى الثاني « للسياحة » : فإنه استمرُّ تعبدًا واعتباراً ، وعطية واستحماماً روحياً ، وتفرغاً لله سبحانه أسبوعاً أو أسبوعين ، به

سفرٌ روحى فى مقابلة السفر للاستحمام الخسمانى

والناس إذا كن أكثرهم يسافرون للاستحمام الخسمانى فبعض المؤمنين يسافرون استجماماً روحياً إلى الخج ، أو إلى ريارة ولى من أدياء له ، أو إلى الخلوة مع الله هرة من برمن تصور أو تنصير ، بحسب الفروع المتح والظروف المناسبة
ومما ذكره صاحب كتاب « محاسن الأول » عند شرح هذه الكلمة الشريفة .

« رجل ارارى عن أبى مسلم ان السانحين السائرون فى الارض ، وهو ماخوذ من (السبح) سبى الماء الحارى ، والمراد به من حرج محاهداً مهاجراً .

وتقريره أنه تعالى حث المؤمنين فى الآية الأولى على الجهاد ، ثم ذكر هذه الآية فى بيان صفات المحاهدين ، فيسعى أن يكونوا موصوفين بجميع هذه الصفات

وروى مثله ابن أبى حاتم ، عن عبد الرحمن ، أنه قال هم المهاجرون

وعن عكرمة أنهم : المستقلون لطلب العلم
قال ابن كثير

حاء ما يدل على أن سياحة الجهاد ، فتدروى أبو دود من حديث أبى امامة أن رجلاً قال يا رسول الله ، اسرلى فى السباحة ؟ فقال النبى ﷺ

« سياحة أمقى الجهاد فى سبيل الله »

أقول : لو أخذ هذا الحديث تفسيراً بلاية لانتفى مع كل ما روى
عن أسلف فيها .

لأن الجهاد في سبيل الله ، كما نُصِّق على قتال المشركين بصدق
على كل ما فيه محادثة للنفس في عبادته تعالى ، ومنه الهجره
وأنصوم ، وأنسهر لنصفه في الدين أو للاعتبار ، بل ذلك هو الجهاد
الأكبر

هذا على إرادة التوفيق بين المأثورات .

أم لو أُريد باللفظ أصل حقيقته الدعوية ، أعني : التصرب في
الأرض خاصه ، أدى عرعه عكرمة بالمتقلين لطلب العلم ، لكن
بمفرده كفاً في المعنى مشيراً إلى وصف عظيم ، وهذا ما حدا بأبي
مسلم أن يقتصر عليه ، وهو الحق في تأويل الآية « اهـ .

ولقد كن ذو اللون المصري من أكثر الناس سياحة ، وكان في
سياحاته كثير الملاحظات لما يراه من مشاهد العظة والاعتبار ، وكان
يقتصر بعض ما جرى له في سياحاته من أمور تميد أساس في صفتهم
بربهم ، وتفيدهم في تهذيب أخلاقهم وزيادة الشغافيه في موسهم

أم هذه السياحات - إذا نظرت إليها - فإيها كست من هوى نفسه
لقد حلقه الله طلعة محمداً للعلم ، عملاً على كشف المجهول ،
مرتداً بكن محالات المعرفة ، ومن هذه المحالات محال المعرفة
لأماكن والبقع حتى لم يرها ، إنه محال معرفة للعظة والاعتبار
والتفكر ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١).

ويقول سبحانه :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢)

ويقول أيضاً :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (٣)

ويقول تعالى :

﴿سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤)

من أحل كل ذلك ساح ذو النون، ساح طالباً للعلم، وساح متعبداً، وساح مفكراً
وبذكر الآن بعض سياحاته :

(٢) سورة النحل ٦٩

(٤) سورة قصص ٥٣

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١

(٣) سورة عامر . ٢١

يا أمل المؤمنين :

عن محمد بن أحمد الشمساضى قان ، سمعت ذا النون لمصرى يقول .

بينما أنا سائر على شاطئ نيل مصر . . إذا أنا بحارية تدعو وهى تقول فى دعائها :

« يا من هو عند ألسن الناطقين ، يا من هو عند قلوب الذاكرين ، يا من هو عند شكر الحامدين ، يا من هو على نفوس لجياربن والمنكبرين . . قد علمت ما كان منى يا أمل المؤمنين . »

قال : ثم صرخت صرخة وخرت معشياً عليها .
إذا اعتلت فلا تجعل علك إلى مخلوق مثلك :

قال : وسمعت ذا النون يقول .

دخلت إلى شواطئ نيل مصر ، فحاءنى الليل ، فممت برى رروعها ، فإذا أنا بامرأه سردهاء قد أقبلت إلى سسلة مفركتها ، ثم امتنعت عليها فتركها وبكت وهى تقول :

« يا من برأه حباً يابساً فى أرضه ، ولم يك شيئاً ، أنت الذى صيرته حشيشاً ، ثم أنبثته عوداً قائماً بتكوينك ، وجعلت فيه حباً متراكباً ، ودورته فكوئته وأنت على كل شىء قدير . . »

وقالت : « عجبت لمن هذه مشبثته كيف لا يطاع ؟! وعجبت لمن هذه صنعه كيف يشتكى ؟! » . .

فدوت منها فقلت ، من يشكو من المؤمنين ؟
فقلت لي .

« أنت يا ذا النون ، إذا اعتلت فلا جعل عنت الى مخلوق مثل
واطلب دواءك ممن ابتل بالوعاء . عليك السلام . لا حاجة لي في مناظره
البطلين »

ثم أنشأت تقول :

وكيف تدم العين وهي قريرة ولم تدري في أي محلين تنزل »

إن المحب هو الصبور :

وعن أبي عثمان سعيد بن الحكم قال سمعت أبا بصير دا سور
ابن إبراهيم يقول .

بيما أن أسير دت بيده ظلماء في حال بيت المقدس ، إذ سمعت
صوتاً حزيناً وكاءً جهيراً ، وهو يقول :

« يا وحشتاه بعد أنسنا ، يا غربناه عن وطننا ، وا فقراه بعد
غناننا ، وا دلاء بعد عزنا » .

فنبعت الصوت حتى فرست منه ، فدم أرل انكي لكائه حتى إذ
صبحنا طرت إليه فإذا رحل ناحل كالنسر لمحترق ، فقلت .
يرحمك الله ، لم تقول من هذا الكلام ؟

فقال :

« دَعْنِي فقد كان لي قلب فقدته »

ثم أنشأ يقول :

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ بَيْنَ الْوَرَى قَرْمَهُ أَحِبُّ فَأَحْثَرُ قَا

فَقُلْتُ بِهِ *

لَمْ تَسْتَكِي أَلَمِ الْبَلَاءِ وَأَنْتَ تَنْتَحِلُ الْمُحَمَّةُ

إِنَّ الْمَحِبَّ هُوَ الصَّبُورُ عَلَى الْبَلَاءِ لَمْزِ أَحِبَّةُ

حُبُّ الْإِلَهِ هُوَ السَّرُورُ مَعَ الشِّقَاءِ لِكُلِّ كُرْبَةِ

مَنْ يَرْجُ النِّجَاةَ يَجْتَهِدُ :

وَعَنْ إِسْرَافِيلَ قَالَ : سَمِعْتُ ذَا النُّونَ يَقُولُ :

سَمِعْتُ بَعْضَ الْمُتَعَبِّدِينَ بِسَاحِلِ بَحْرِ الشَّاءِ يَقُولُ .

« إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا عَرَفُوهُ بَيِّقِينَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ، فَشَمُّرُوا ، قَصِدُوا إِلَيْهِ ،

احْتَمَلُوا فِيهِ الْمَصَائِبَ لِمَا يَرْجُونَ عِنْدَهُ مِنَ الرِّغَائِبِ ، صَحَبُوا الدُّنْيَا

بِالْأَشْجَانِ ، وَتَنَعَّمُوا فِيهَا بِطُولِ الْأَحْرَانِ ، فَمَا نَظَرُوا إِلَيْهَا بِعَيْنِ رَاغِبٍ ،

وَلَا تَزَوَّدُوا مِنْهَا إِلَّا كَزَادِ الرَّاكِبِ ، خَافُوا الْبَيَاتَ فَتَسَرَّعُوا ، وَرَجَوْا

النِّجَاةَ فَازْمَعُوا ، بِذِكْرِهِ لَهَجَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِي رِضَا سَيِّدِهِمْ ، نَصَبُوا

الْآخِرَةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ ، وَاصْغَوْا إِلَيْهَا بِأَنَانِ قُلُوبِهِمْ ، فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ

قَوْمًا ذُبُلًا شَفَّهِهُمْ ، خُمَصًا بِطُونَهُمْ ، حَزِينَةً قُلُوبُهُمْ ، نَاحِبَةً أَجْسَامَهُمْ .

بَاطِلَةً أَعْيُنَهُمْ ، لَمْ يَصْحَبُوا الْعَمَلَ وَالتَّسْوِيفَ ، وَقَنَعُوا مِنَ الدُّنْيَا بِقُوَّتِ

طَفِيفٍ ، لَبَسُوا مِنَ النَّاسِ أَطْمَارًا بَاطِلَةً ، وَسَكَنُوا مِنَ الْعِلَادِ قَفَارًا خَاطِلَةً ،

هَرَبُوا مِنَ الْوَطَنِ ، وَاسْتَبَدَّلُوا الْوَحْدَةَ مِنَ الْإِخْوَانِ ، فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ لَرَأَيْتَ

قَوْمًا ذَبَحَهُمُ اللَّيْلُ بِسَكَاتِ السَّهْرِ ، وَفَصَلَ الْأَعْضَاءَ مِنْهُمْ بِخَنَاحِ

النعيب ، خُمُصٌ لطول اسْرُي ، شُعْتُ لفقد الخرى ، قد وصلوا الكَلال
بالكَلال ، وقاهبوا للثقله والارتحل .

بين جبال الشام:

يا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعاً مجيباً

وعن محمد بن أحمد لشمشاطي ، قال سمعت ذا النون يقول .
بيما أنا سائر بين جبال الشام ، إذا أنا بشيخ على قطعة من
الأرض ، قد تساقط حاحاه على عبيه كراً ، فتقدمت إليه ، فسلمت
عليه فردَّ عليَّ السلام ، ثم أنشأ وهو يقول بصوت عليل :

« يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً ، ويا من قصد إليه الزاهدون
فوجدوه حبيباً ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعاً
مجيباً » . .

ثم أنشأ يقول :

ولهُ خَصَائِصُ مُصْطَفِينَ لِحُبِّهِ اخْتَارَهُمْ فِي سَلَفِ الْأَزْمَانِ
اخْتَارَهُمْ مِنْ قَبْلِ فِطْرَةِ خَلْقِهِ فَهُمْ وَدَائِعُ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ

ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت .

في بلاد العرب :

لا تترك الزد ليوم معادك

وعن سعيد بن عثمان ، قال : سمعت ذا النون يقول :

بيما أن سائر هي بلاد العرب ، إذ أنا مرحل على عريش من
أسوط ، وعنده عين ماء تجري ، فأقمب عليه يوماً وليلة أريد أن
أسمع كلامه ، فأشرف على نوحته ، فسمعتة يقول :

« شهد قلبي لك بالوازل ، وكيف لا يشهد قلبي بذلك وكل أمورهم
إيـك ، فحسب من اغترَّ بك أن يالف قلبه غيرك ، هيهات هيهات ، لقد خاب
لديك المقصرون . سيدي ، ما أحلى ذكرك ، أليس قُصَدَكَ مؤملوك فنالوا
ما أمَلُوا ، وجَدْتَ لهم منك بالزيادة على ما طلبوا ؟ »

فقلت له . يا حسي ، إنني مقسم عليك منذ يوم وليلة أريد أن أسمع
من كلامك

فقال لي :

« قد رأيـك يا بطال حين أقبلت ، ولكن ما ذهب روعك من قلبي إلى
الآن . »

فقلت له : ولم ديت وما لدى أفرعت مي ؟
فقال :

« بطالتك في يوم عمك وفراغت في يوم سغلك . وتركت الزاد ليوم
معادك ، ومقامك على المظنون »

فقلت . إن الله تعالى كريم ، ما طر به أحد شيئاً إلا أعطاه
فقال :

« إنه لكذلك إذا وافقه العمل الصالح وانتوفيق »

في بلدة شاهرت :

وعن سعيد بن عثمان ، قال : سمعت ذا النور يقول

وَصَفَّ لِي رَجُلٌ بِشَاهَرَةٍ ، فَقَصَّدْتَهُ ، فَأَقَمْتُ عَلَى بَابِهِ أَرْبَعِينَ
يَوْمًا ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَى هَرَبَ مَيِّ ، فَقُلْتُ
لَهُ : سَأَلْتُكَ بِمَعْبُودِكَ إِلَّا وَقَعْتُ عَلَى وَقْفَةٍ ، فَوَقَّفَ ، فَقُلْتُ : سَأَلْتُكَ
بِاللَّهِ سَمِعْتَ اللَّهَ ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَعْرِفُ إِلَهَكَ اللَّهُ حَتَّى عَرَفْتَهُ ؟
فَقَالَ لِي :

« نَعَمْ ، رَأَيْتُ لِي حَبِيبًا إِذَا قَرِيبْتُ مِنْهُ قَرَّبَنِي وَأَدْنَانِي ، وَإِذَا بَعُدْتُ
نَادَانِي ، وَإِذَا قَمْتُ بِالْفَنَرَةِ رَغَّبَنِي وَمَنَّنِي ، وَإِذَا عَمَلْتُ بِالطَّاعَةِ زَادَنِي
وَأَعْطَانِي ، وَإِذَا عَمَلْتُ بِالْمَعْصِيَةِ صَبَّرَ عَلَيَّ وَتَنَأَّنَى ، فَهَلْ رَأَيْتَ حَبِيبًا
مِثْلَ هَذَا ؟ .. أَتَصْرِفُ عَنِّي وَلَا تَشْغَلُنِي ! » ثُمَّ وَلَّى

فِي تِيهِ بَنَى إِسْرَائِيلَ :

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَثْمَانَ ، قَالَ :

« كُنْتُ مَعَ دِي النَّوْنِ فِي بَيْتِهِ بَنَى إِسْرَائِيلَ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِدْ
بِشَحْصٍ قَدْ أَقْبَلَ ، فَقُلْتُ : يَا أَسْتَادَ ، شَحْصٌ .
فَقَالَ لِي :

نَظَرُ ، فَبِهِ لَا يَصْغُ قَدَمُهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ إِلَّا صَدِيقُ فَضَرْتُ فَرْدَ
امْرَأَةٍ ، فَقُلْتُ : إِنَّهَا امْرَأَةٌ ، فَقَالَ : صَدِيقَةُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، فَابْتَدَرَ
إِلَيْهَا ، وَسَلَّمْ عَلَيْهِ ، فَرَدَّتْ إِسْلَامًا ثُمَّ قَالَتْ
مَا لِلرَّجُلِ وَمَحَاطَبِهِ النِّسَاءُ ؟ .. ! »

فَقَالَ لَهَا : يَا أَخَوُكَ دُو النَّوْنِ ، وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الثُّهْمِ
فَقَالَتْ :

مَرْحَبًا ، حَيَّاكَ اللَّهُ بِالسَّلَامِ

فقل لها : ما حملك على الدخول إلى هذا الموضع ؟

فقلت : آية في كتاب الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ (١)

فكلما دخلت إلى موضع يُعصى فيه لم يهتني بفرار نفسه بقلب قد
أبهلته شدة محبته ، وهام بالشوق إلى رؤيته .

فقال لها : صف لي .

فقلت : يا سبحان الله ، أنت عارف بكلم بلسان المعرفة .

تسألني ؟

يقال : يحق للسائل الجواب .

فقلت : نعم ، المحبة عندي لها أول وآخر ، فاولها تهج القلب
بذكر المحبوب ، والحزن الدائم ، والتسوق اللازم ، فإذا صاروا إلى
أعمالها سعلهم وجدن الخلو ب عن كثير من أعمال الطاعات .

ثم أحدث في أرقب والشهيق ، وأنشأت تقول

أَحِبُّكَ حُبِّينَ : حُبَّ اِهْوَى	وَحُبًّا لَأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ اِهْوَى	فَدَكَّرْتُ شَغَبْتُ بِهِ عَمَّنْ سِوَاكَ
وَأَمَّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ بِهِ	أَدَسْتُكَ لِي الْحُجْبُ حَتَّى أَرَاكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي	وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ

ثم شهقت فإذا هي قد فارقت لدنيا .

(١) سورة النساء . ٩٧ .

على شاطئ نيل مصر:

وعن محمد بن أحمد الشمشاطي قال : سمعت ذا النون يقول :
« بينما أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بحارية عليها دباء
شعث الكلال^(١) ، وإذا قلب منها متعلق بحب الحنار ، وهي منقطعة
في نيل مصر ، وهو يضطرب بأمووجه ، فيسماهي كذلك إذ نظرت
إلى حوت ينساب بين الوحيتين ، فربت بطرفها إلى السماء وبكت
وأشأت تقول :

« بك تفرّد المتفرّدون في الخلوات ، ولعظيم رجاء ما عندك سبيح
أحييتان في البحور الزاخرات ، ولجدار هيبك تصافقت الأمواج في
البحور المستفحلات ، ومؤانستك استأنست بك الوحوش في القلوات ،
ولجودك وكرمك قصدت إليك يا صاحب البرّ والمسامحات » ثم
ولّت عني وهي تقول :

يا مؤنس الأسرار في خلواتهم يا خير من حطّت به النزالُ
من نال حبك لا ينال تفجّعاً القلب يعلم أن ذاك محالُ
ثم غابت عني فلم أرها ، فصرخت وأنا حزبن القلب ضعيف
الرأي .

في مقبرة البصرة :

وحدثت يوسف بن الحسين . قال بعض الصوفية :

(١) أي : ثياب بالية

سمعت ذا النور يقول

رأيت سعدون في مقبرة البصرة، في يوم حار، وهو يناجي ربه،
ويقول بصوت عذو

«أحد، أحد». فسئمت عليه، فردّ عليّ السلام.

فقلت: بحق من ناجيته إلا وقعت

فوقك ثم قال لي:

«قل وأوجز»..

قلت: توصيني بوصية أحفظها منك، وتدعوني بدعوة.
فأنشأ يقول:

يا طائبَ لعلم ههنا وهنا	ومعدن العلم بين جنبيكما
إن كنت تبغي الجنان تسكنها	فأذرف الدمع فوق خديكما
وقم إذا قام كل مجتهد	تدعوه كي ما يقول لييكما

ثم مضى وقال:

«يا غياث المستغيثين أغثنني».

فقلت له: ارفع يديك، فلعده يلحطك فيغمر لك، فصرف يده
من يدي، وعداً^(١) وهو يقول:

أنست به فلا أبغى سواه	مخافة أن أضلّ فلا أراه
فحسبك حسرة وضناً وسقماً	بطرديك من مجالس أوليائه

(١) أسرع وجرى

سباحة في طلب المباح :

وحدث يونس بن الحسبر عن ابي جعفر بن شحرف ، قال :
سمعت ذا النون يقول .

خرجت في طلب المباح ، فإذا أنا بصوت ، فعدت إليه ، فإذا أنا
برجل قد عاص في بحر موته ، وخرج على سحابة الكمة^(١) ، يقول -
في شدة

« انت تعلم ان الاصرار مع الاستغفار لوم ، وترك الاستغفار مع
معرفة بسعة عفوك عذر ، يا ابي انت حصصت حصائلك بخالص
الاخلاص ، وانت الذي تضمن بضائلك عن تسايب الاقتصاص ، وانت
الذي سلمت قلوب العارفين عن اعراض الوسواس ، وانت الذي آمنت
الاسير من اوليائك : فأعطيتهم رعاية ولاية المتوكلين عليك ،
تكلوهم في مصاجعهم ، وتطلع على سرائرهم ، وسرى عندك مكشوف .
و نا ليك ملهوف . وانت بالاحسان معروف »
ثم سكب قلبه أسمع له صوتاً

في بيت الله الحرام :

وحدث محمد بن يزيد قال سمعت ذا النون يقول .
خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام . فسمعت أنا بطواف إذا
شخص متعنتاً أستدر الكعبة ، وإذا هو يركي ويقول في بكائه

(١) كومة من الخشب والطين

« كُنْتُ بِلَاثِي عَنْ غَيْرِكَ ، وَبُحْتُ بِسَرِّي إِلَيْكَ ، وَاشْتَغَلْتُ بِكَ عَنْ سِوَاكَ...عَجِبْتُ لِمَنْ عَرَفَكَ كَيْفَ يَسْلُو عَنْكَ ، وَلِمَنْ ذَاقَ حَبْلَكَ كَيْفَ يَصْبِرُ عَلَيْكَ ! » . .

ثم أنشأ يقول :

ذَوَّقْنِي صَيْبَ الْوَصَالِ فَرَدَّتْنِي شَوْقًا إِيكَ مُخَامِرِ الْحَسَرَاتِ

ثم أقبل على نفسه فقال :

« أَمْهَلْهُ فَمَا أَرَعَوَيْتَ ، وَسَفَرُ عَلَيْكَ فَمَا اسْتَحْبَبَ . وَسَلْبَكَ حَلَاوَةَ الْمَحَاحَاةِ فَمَا بِالْيَتِّ » .

قَالَ : هَلُمَّ أَتَمَّاكَ أَنْ أَتَيْتَ الْكَعْبَةَ مُسْتَخْفِيًا ، فَلَمَّا أَحَسَّ تَحَلُّلَ بَخْمَرِكَ كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « يَا ذَا الْعَوْنِ ، غَضُّ بَصْرِكَ مِنْ مَوَاقِعِ الْبَطْرِ : فَبَانِي حَرَامٌ » . . فَعَلِمْتُ أَنَّهَا امْرَأَةٌ .
ثم أنشأت تقول .

لَمْ أَذُقْ طَعْمَ وَصْلِكَ حَتَّى زَالَ عَنِّي مَحَنِّي لِأَلَتَامِ

ثم قلت :

« أَوْجَعْنِي ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يُبْلَغُ إِلَيْهِ إِلَّا بِرُكٍّ مِنْ دُونِهِ »

فِي بَعْضِ سِيَاحَاتِهِ :

وَقَالَ ذُو النُّونِ : رَأَيْتُ فِي سِيَاحَتِي شَيْخًا ، فَقُلْتُ :

- كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ ؟

قَالَ :

« دَعْ طَرِيقَ الْخِلَافِ وَالْإِخْتِلَافِ » .

قلت : أليس اختلاف العلماء رحمة ؟
قال :

« إلا في تجريد التوحيد » .

قلت : ما تجريده ؟
قال :

« فقدان رؤية ما سواء بوجوده » .

قلت : أو ليس من عرف الله طال همه ؟
قال :

« بل من عرفه زال همه » .

قلت : هل يكون العارف مسروراً ؟
قال :

« وهل يكون محزوناً ؟ ! » .

قلت : أليس من عرف الله صار مستوحشاً ؟
قال :

« معاذ الله . بل يكون مهاجراً متجديداً »

قلت : وهل يأسف العارف على شيء غير الله ؟
قال :

« وهل يعرف الله فيأسف عليه » .

قلت : وهل يشتاق إلى ربه ؟
قال :

« وهل يغيب عنه طرفة عين حتى يشاققه ؟ ! » .

قلت : ما اسم الله الأعظم ؟

قل

« أن تقول « الله » وأنت تهأنه » .

قلت . كثيراً ما أقوله ولا نداحكنى هيبة

قل :

« لأنك تقول « الله » من حيث أنت ، لا من حيث هو » .

قلت : عظمي

قل .

« حسبك من الموعظة علمك منه براك » .

قلت . فما تأمرني ؟

قال :

« لا طلاءه عليك في كل أحوالك : لا نفسه »

وعن إسماعيل قال : سمعت ذا السنون يقول :

نظرت إلى رجل في بيت المقدس ، قد استعرقه الوكة ، فقلت

له : ما الذي أثار منك ما أرى ؟

قال :

« ذهب الزهاد والعبد بصفو الإخلاص ، وبقيت في كثر الانتفاص ،

فهل من دليل مرشد ، أو حكيم موقظ ؟ » .

في نواحي الشام :

ومن وقائع في سياحاته ما حكى ، قال

« بينما أنا أسير في نواحي شبه إد رفعت على روضة حصراء ،
وإذا شاب يصلي تحت شجرة ، فسمت ، فوحر في صلاته ولم
يرد ، ثم كتب بإصبعه في الأرض :

مَنْعَ اللِّسَانُ مِنَ الْكَلَامِ لَأَنَّهُ سَبَبُ الْفَسَادِ وَجَالِبُ الْإِفَاتِ
فَإِذَا نَطَقْتَ فَكُنْ لِرَبِّكَ ذَكْرًا وَإِنَّا سَكَتٌ فَعَدَّ مَوْتُكَ آتِ

قل : فبكيت وكتبت بإصبعي في الأرض .

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَبُلِي وَيُبْقِي الدَّهْرُ مَا كَتَبْتَ يَذَاهُ
فَلَا تَكُتُبْ بِكُفْلٍ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْعِبَادَةِ أَنْ تُرَهُ

فصح الشاب فمات ، فقامت لأحمره وأدمه ، وإذا بقدر حل
عه فإن الله وعده ألا يتولاه إلا ملانكه ، فاستلم أله «

في بعض سياحاته :

وقال « بينما أنا أسير في بعض سياحاتي إذا بصوت حرس
كيب موحع ، فقلت ، أسمع الصوت ولا أرى لشخص وهو يقول
« سبحان مَعْنَى الدهور ، سبحان مُخَرَّبُ الدور ، سبحان باعث من في
العبور ، سبحان مُمَيَّتِ القلوب » . .

فاتتعت الصوت فإذا بإنسان يقول .

« سُبْحَانَ مَنْ لَا يَسْغُ احْتِقَاقُ إِلَّا سِتْرُهُ ، سُبْحَانَ مَا تَلْفَكَ بِمِنْ خَالِكَ ، وَأَوْفَاكَ بَعْدَكَ ، سُبْحَانَكَ مَا دَحَمَكَ عَلَى مِنْ عَصَاكَ »
ثم قال :

« سَيِّدِي ، بِحِلْمِكَ نَطَفْتُ ، وَبِفَضْلِكَ نَكَلَمْتُ ، فَبِإِلَهٍ مِنْ مَصْنُوعِي قَبْلِي وَمَنْ يَكُونُ بَعْدِي ، بِالصَّالِحِينَ الْحَقُّنِي ، وَلِأَعْمَانِهِمْ وَفَقِّنِي » . .
ثم قال :

« إِنَّ الزُّهَادَ وَالْعُبَادَ نَزَلَ بِهِمُ الزَّمَانُ فَابْتَلَاهُمْ ، وَحَلَّ بِهِمُ ابْتِلَاءُ فَاقْدَهُمْ ، فَهَلْ أَنْظَرَ إِلَّا مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ ؟ » فَانْصَرَفَتْ وَتَرَكْتَهُ دَاكِيًا .

على جبل المقطم :

وقال : « وَصَفَ لِي رَجُلٌ بِحَسَنِ الْمُقْطَمِ فَقَصَصَتْهُ ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ سَأَلَتْهُ ، فَقُلْتُ : فِيمَ النُّحَاةُ ؟ »
فَرَدَّ :

فِي التَّغْوَى وَالْمِرَاقِبَةِ .

قلت : زِدْنِي

قال :

فَرَمِ الْخَلْقَ وَلَا تَنْسَ بِهِمْ .

قلت : زِدْنِي .

قال :

إِنَّ لَهُ عِبَادًا أَطَاعُوهُ ، فَسَقَاهُمْ كَأْسًا مِنْ مَحْبِنِهِ ، فَهُمْ فِي شَرِبِهِمْ عَطَشٌ ، وَفِي عَطَشِهِمْ أَرْوِيَاءٌ . . . ثُمَّ تَرَكَنِي .

في التيه :

وقال صحت زججياً في التيه ، فكأن إذا ذكر الله يضر ، فورد
على أمر عظيم ، فسأله ، فشد

ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا نَسِينَا فَنَذْكُرُ وَلَكِنْ نَسِيَهُ الْقُرْبُ يَبْدُو فَنَظْهَرُ
ثم قال أيضاً :

أنت في غفلة وقلبك ساهي نَفِدَ الْعُمْرُ وَابْذُوبُ كَمَا هِيَ
جَمَّةٌ أَحْصَيْتُ عَلَيْكَ جَمِيعاً فَيَ كُنَّابٍ . وَنْتَ عَنْ ذَاكَ لَاهٍ
لَمْ تُبَادِرْ بِتُسُوبَةٍ مَعَكَ حَتَّى صِرْتَ شَيْخاً فَحَبْلُكَ الْيَوْمَ وَاهٍ
فَاجْتَهَذْ فِي فَكَكَ نَفْسِكَ وَاحْتَرُ يَوْمَ تَبْدُو السَّمَاتُ فَوْقَ الْجِبَاهِ

قال ذو النون :

« فَمَا طَرَقَ سَمْعِي مِثْلَ حِكْمَةِ ذَلِكَ الزُّنْحَى ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى
عِبَاداً تَعْلُو قُلُوبُهُمْ بِالْأَذْكَرِ كَمَا تَعْبُو الْأَطْيَارُ فِي الْأَوْكَارِ ، لَوْ
فَنَشِئْتُ مِنْهُمْ الْقُلُوبَ لَمَا وَجَدْتُ فِيهَا غَيْرَ حُبِّ الْمَحْبُوبِ »

في جبل نيسان :

وقال : « اجتمعت لي جبل نيسان بامرأة متعبدة كالشَّيْءِ السَّالِي
كأنها تخبر عن أهل المقابر ، فسألتها : أين وطنك ؟
قالت :

مالي وطن إلا النار ، أو يعفو العزيز الغفار .

قلت : هل من وصيه ؟

قالت :

شمر عن ساق الجد ، ودع ما ينسحق به البطَّان من الرجاء الكاذب
الذي لا تحقيق لهم فيه ، ولا يدرون كيف العواقب ، فوالله لا يردُّ غداً
المنازل إلا المضمَّرون^(١) .

في جبال بيت المقدس :

وقار : سيما أنا أسير في حبال بيت المقدس ، إذ سمعت قولاً
يقول :

« ذهب الآلام عن أبدان الخُدام ، ولهيت بالطاعة عن الشراب
والطعام ، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام »
فتبعت الصوت فإذا شب قد علاه صمير^٢ ، فما راني توارى
مى بالشجر .

فقلت له : ليس الجعد من أحلاقهم ، فأوصي .

فخر ساجداً وحمل يقول :

« هذا مقام من لاذبك ، واستجار بمعرفتك ، وألف محبتك . فيا إله
القلوب وما تحويه من جلال عظمتك . احجبني عن القاطعين لي
عنك » . ثم عاب فلم أره .

(١) الذين استعدوا من قبل

في جبل لبنان :

وقال : « رأيت في جبل لبنان رجلاً أعتر بحبها صبي . فسألت
فرداً ، فمارال راكعاً ساحداً حتى صبي العصر ، ثم استند إلى حجر
ولم يكلمني .

فقلت ادع لي .

قال :

آنسك الله بقربه .

فقلت : زدني .

قال .

من آنسه الله بقربه أعطاه أربعاً عزّاً من غير عشيرة ، وعلماً من
غير طلب ، وعنى بغير مال ، وأنساً بغير جمعة .

ثم شهق فلم يبق إلا بعد ثلاث ساعات .

فقل :

انصرف عني بسلام .

قلت أوصني

قال .

أحبب مولاك ولا تُرد بحبه مدلاً »

على شاطئ غدير :

وقد اسـاكويه حدث بكر بن أحمد جيني ، قال سمعت
يوسف بن الحسين الرازي يقول :

« كنت مع ذى النون المصرى ، على شاطئ عدير . فنظرنا فإذا بضفدع خرج من لغدير فركبه عقرب ، وحمل الضفدع يسبح حتى عبر ، فقال ذو النون : إن لهذا انعقرب لثباتاً فامض بنا تقفوا على أثره . فإذا رحل نائم سكران ، وإذا حية قد جاءت ، فصعدت إلى صدره وهى بطب أذه ، فاستحكمت العترب من أحيه فصربت بها ، فانفلت فانفسحت ، ورحعت العقرب وبرت إلى العدير وحاءت الضفدع بها إلى الحانب السانى ، فحرك ذو النون الرجل النائم فضح عينيه فقال : يا فنى ، انظر مم نجك الله ؟ هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التى أرادتك .

ثم أنشأ ذو النون يقول

يا غافلاً والجليل يحفظه من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن منك ياتيك منه فوائد النعم

فرفع اشاب رأسه ونهض وقال إلهى ، هذا فعك عن عصاك ، فكيف فعك عن طبيعت ؟ . ثم سح .

حديث مع بعض منعبدى العرب :

روى يوسف بن الحسين قال : قال ذو النون :

« دخلت على بعض معبدى العرب فقلت له كيف أصبحت ؟ .

قال :

أصبحت في بحايح نعمة أجول . وبلسان فضله وإحسانه أقول :
نعمؤده على باطنة وظاهرة . وعصون رياض مواهبه على مشرقة
زاهرة .

سبحانه ما أمهله بالأثام :
قال : وقال ذو النون :
« دخلت على متعبدة ، فقلت لها : كيف أصبحت ؟
ف قالت :

أصبحت من الدنيا على فناء ومبادرة في أخذ الجهار ، متاهية لِهول
يوم الحَوَاز ، له على نعمّ اعترف بتقصيري عن شكرها ، وأبطل عن
ضعفي عن إحصائها وذكرها . فقد غفلت القلوب عنه وهو مُنْشِيها ،
وأدبرت النفوس عنه وهو يناديها ، فسبحانه .. ما أمهله بالأثام .. مع
تواتر الأيادي والإنعام .

أطع الله إذا خلّوت يُجيبك إذا دعوت :

وقال : « رأيت في تيه بني إسرائيل سوداء قد ستلبه الوله من
حب الرحمن شاحصة ببصرها بحر السماء ، فقلت : السلام عليك
يا أحتاه .
قالت :

وعليك لسلام يا ذا النون .
قلت : من أين عرفتني ؟
قالت :

إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، ثم أدارها حول العرش،
فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، فعرفتُ روحى روحك
فى ذلك الجولان.
قلب . أرك حكمة ، فعلمينى مما علمك الله .
فألب

يا ابا الغض . ضع على حوارك ميزان انقسط . حتى يدوب كل ما
كان معير الله، ويبقى القلب نقياً لا شىء فيه غيره، فحينئذ يقيمك على
الباب ويوليك ولاية جديدة . ويأمر الحران لك بالطاعة .
قلت . زيدنى
قالت .

خذ من نفسك لنفسك . واطع الله ذا خلوت . بجيك إذا دعوت .
والسلام .

من استغنى بالله أمن من العدم :

وعد .

« كنت فى حين الشتاء فرأيت رجلاً قعداً مطرقاً فقلت :

ما تصنع هذا ؟ »

قال : انظر وأرعى .

فت : ما أرى عندك إلا لأحذر مما ألقى به وسرعده ؟

فصر يى مغصاً ، وقال :

انظر خو طر قلبى . وأرعى وأمر ربي ، فبحق من أطلعك على إلا

رحمت عني .

قلت : كلمنى بشيء أنتفع به وأذهب .

قال :

« من لزم الباب أثبت من الخدم . ومن أكثر ذكر الذنوب أعقبه كثرة
الخدم ، ومن استعنى بالله أمن من العدم » . . ثم تركنى ومضى .

لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله :

وقال : « رأيت سواحل الشام امرأة ، فقمت : من أين أقبلت ؟
قالت :

من عند قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

قلت : وإلى أين ؟

قلت :

إلى قوم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » (١) .

فى اليمن :

علامة الخوف من الله

وعن ذى النون قال :

« وُصِفَ لى رحى باليمن قد برز على الخفافين ، وسما على
محتشدين ، ودُكر لى بحكمة ، وُصِفَ لى بالتواضع والرحمة ،
مخرجت حاجاً ، فلما قضيت نُسكى مصيت إيه لأسمع من كلامه .
وأنتمع عواصمه أنا وأدس كسوا معى يظلمون منه مثل ما أطلب ،

(١) الكواكب النيرة للمصطفى

ومعنا شرب عليه سيما الصالحين . فحرح إني ، فجلسا إليه ، وقد
اشاب بالسلام عليه ، وصافحه ، فندى له الشيخ لبشر واسترحب ،
فسمما عليه جميعاً ، ثم بدأ اشاب بالكلام فقال
- إن الله بمنه وفصله قد جعلك طيباً لسقام الذنوب ، ومعانك
لأوجاع الذنوب ، ولما حرح قد تم ، وداء قد استكمل ، فإن رأيت
أن تتلطف لي ببعض مراهمك ، وتعالجني برفقتك
فقال له الشيخ :

ما بدا لك ؟

فقال له اشاب : يرحمك الله ، ما علامة اخوف من الله تعالى ؟
فقال :

أن يؤمنه خوفه من كل خوف غير خوفه .

ثم قال : يرحمك الله ، متى يتيسر للعبد خوفه من الله ؟
قال :

إذا أنزل نفسه من الدنيا بمزلة السقيم فهو يحتمي من أكل الطعام
مخافة اسقام ، ويصبر على مضض كل دواء مخافة صول اصنا .

قال . فما علامة المحب لله ؟

قال

إن درجة الحب درجة رفعة .

قال . صفها لي ؟

ول .

ان المحبين لله شقَّ بهم عن قلوبهم : فابصروا بنور القلوب إلى عزِّ
جلال الله : فعبدوه بمبلغ استطاعتهم له ، لا طمعاً في جنه ، ولا خوفاً
من ناره.

قال فشهو الفنى وصاح صيحة كنت فيها نفسه .

في المغرب :

العران حديثه والذكر رفيقه

قال يوسف بن الحسين ، سمعت ذا النون يقول :

« وُصفَ لى رجل بالمغرب . . ودكر لى من حكمته وكلامه ما
حملنى على لقائه ، فرحلت إليه فقامت على ربه أربعين يوماً على أن
يخرج من منزله إلى المسجد ويصعدى ، فكد يحرص وقت كل صلاة
ويصلى ويرجع كالواله لا يكلم أحداً .
قلت له يوماً :

يا هذا ، إني مقيم هنا منذ أربعين صباحاً ، لا أراك تكلمنى ؟
فقال لى :

هذا لسانى سبع إن أنا طلقته أكلنى .

فقلب له . عطى رحمت الله موعظة أحفظها عنك ؟
قل :

وتفعد ؟

قلت : نعم إن شاء الله .

قال :

لا تحب الدنيا ، وُعِدَ الفقير غنى ، والبلاء من الله نعمة ، والمنع من الله عطاء ، وابوحده مع الله أسب ، والدر عراً ، والحياة موتاً ، وليس غفله ، والطاعة حرفة ، والدوكل معاساً ، والله لكل شدة عُدّه .
ثم مكثت بعد ذلك شهراً لا يكلمني ، فقلت : رحمتك الله إني
أريد أن أرحح إني بلدي ، هل رأيت أن تزيدني في الموعظة ؟
فقد

أعلم أن أراهد في الدنيا قُوته ما وجد ، ومسكنه حيث درك .
وناسه ما سترد : اخلوّة مجبسه ، والقرآن حديثه ، والله الجبار
العريز أنيسه ، والدُكر رقيقه ، والصمت جيبه ، والخوف سجيته ،
والشوق مطبته ، والاعتبار فكره ، والبصر وساده ، والحكمة كلامه ،
والعسر دبله ، والعلم خليله ، والذوق إدامه ، والبكاء دأبه .
فبسم يتبين الريادة والتقصاص ؟
قل

عند المحاسبة للنفوس

بم عرفت الله ؟ :

وروي أن عيسى عليه السلام قال : سمعت داؤد يقول .

« وُصِف لي رجلٌ صالحٌ فقصده فقمب على يابه أربعين يوماً ،
عند كل بعد ذلك رأيته ، فسميت ربي حبيب مني ، فكتب له سألتك
الله ، بم عرفت الله ؟ » وبني شيء تعرف إليك به حتى عرفته ؟

فقال لى :

نعم ، رأيت أن بى حبيباً إذا قربت منه فرنى وأدنى ، وإذا بعدت عنه صاح بى وندانى ، وإذا قمت نافذة رغننى ومأنى ، وإذا عملت باطاعة زادنى وأعطنى ، وإذا عملت بالمعصية صبر على وتأنى فهل رأيت حبيباً مثلهذا ؟ .. انصرف عني ولا تشعنى »

إن لله عباداً لو أقسموا على الله لأبرههم :

حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن هاشم ، قال قلت لذى النون :

- صب لنا من حير ما رأيت ، فدرت عينه وقال

« ركبنا مرة فى لبحر نريد حدة ، ومعفتى من أباء يهف وعشرس سنه ، فدأبس ثوباً من الهيبة ، فكنت أحب أن أكنمه فلم أستصع ، سما نراه قدراً ، وسما نراه صائماً ، وبينما نراه مستحاً ، إلى أن رقد ذات يوم ، ووفعت فى المركب تهمة ، فحعل الله من يفتش بعضهم بعضاً إلى أن بلعوا الفتى البائم فدار صاحب لصرة - لم يكر أحد أقرب إلى من هذا الفتى لئام

فلما سمعت ذلك قمت فأيقظته ، فمكر به إلا أن توضأ للصلاة وصلى أربع ركعات ، ثم قال :

- يا فنى ، ما تشاء ؟

فقلت إن تهمة وقعت هي المركب ، وإن الناس قد فتش بعضهم
عصا حتى يدعوا إليّ .

وانتبأني صاحب الصره وول

- اكما يقول ؟ ..

فقال : نعم ، لم يكن أحد أقرب إليّ منك .

فرفع المتى يديه يدعو وختم على أهل المركب من دعائه ، وحل
ليد أن كل حوت في البحر قد حرج ، وفي هم كل حوت ذرة ، فقام
لنسي إني حوشرة في هم حوت فأخذهما فألدهما لي صاحب الصره ،
وقال :

- في هذه عوض عما ذهب منك ، وانبت في حلّ »

كيف السخاء ؟

وعر محمد بن أحمد الشمس طي ، فان سمعت ذا النور يقول
« ييما أنا أسير في حبائل أضاكية يدان بحرية كأنها محبوبة
وعبيبة جنة من صوف ، فسلمت عليها ، فردت سلام ثم قالت
- انست ذا النور ؟

فت عافاك الله ، كيف عرفتني ؟

فالت :

عرفتك باتصال معرفة حب الحبيب . ثم قالت

- أسالك عن مسألة ؟

فت سلى

قالت :

كيف السخاء ؟

قلت : البذل والعطاء

قالت :

هذا سخاء في الدنيا ، فما اسحاء في الدين ؟

قلت : اسارعة إلى طاعة لمولى ليل منه خيراً .

قالت :

لبئال منه خيراً ؟!

قلت : نعم ، الحسنة بعشرة أمثالها

قالت :

سرُّنا بطال ، هذا في الدين قبيح ، ولكن اسارعة إلى طاعة المولى

ن يطلع على قلبك وانت لا تريد منه شيئاً بشيء ، ويحل يا ذا انون

.. إنى أريد أن اطلب منه شيئاً - منذ عشرين سنة - فأستحي منه أن

اكون كاجير السوء إذا عمل طلب اجراً ، ولكن أعمل تعظيماً لهيبته

وعزته وجلاله . . ومرت وتركتني « (١) .

كل مطيع مستأنس :

وقد : وجدت مكتوباً على صحرة بيت المقدس .

« كل عاصٍ مستوحش ، وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب

وكل راج طالب وكل قانع غني ، وكل محب ذليل » .

(١) حرجه وبعث في " حبه "

ففكرت فيّاد هي أصول لكل ما استعبد الله به خلق

سبحانه.. ما أمهله للأنام !:

حدثنا سعيد بن أخكم قال : سمعت ذا النور يقول .

« دخلت على متعبدة ، فقلت لها : كيف أصبحت ؟

قلت .

أصحت من الدنيا على فناء ، مبادرة للجهاز . مناهبة لهول يوم

الجواز ، لله على نعم اعترف بتقصيري عن شكرها ، وأقر بضعفي عن

إحصائها وذكرها . قد غفلت القلوب عنه وهو منشيها . وأدبرت عنه

النفوس وهو يناديها .. فسبحانه ، ما أمهله للأنام .. مع توارى الأيادي

والإنعام » .

في بلاد الشام :

سبحان من أذاق قلوب العارفين حلاوة الانقطاع إليه

قال : وسمعت ذا النور يقول

« بينما أنا أسير في بلاد الشام ، إذ أن عابد حرج من أحد

الكهوف ، فلما نظر إلى استتر بين الأشجار ثم قال :

أعوذ بك - سيدي - ممن يشغلني عنك يا مأوى العارفين ، وحبیب

السوايق ، ومُعین الصادقين ، وغابة أمل المحبين

ثم صاح

واعفأ من هذه السدة ز . ر ه من طول المكث في الدنيا.

ثم قرأ

سبحان من اداق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع اليه فلا شيء
الد بعدهم من ذكره ، والخلوة بمناجاته

ثم مضى وهو يقول

قدوس ، قدوس ، قدوس .

فادبته : أيها العابد ، قف لي . فوقف لي وهو يقول .

– اقطع عر قلبي كل علاقة ، واحمل شغله بك دون خلوك

فسلمت عليه ثم سأله أن يدعو الله لي ، فقال .

– حقق الله عنك مؤنئصب اسير إليه ، وذلك على رضاه ، حتى لا

يكون بينك وبينه علاقة طيب مفعه او ديبا .

ثم سعى من بين يدي كالتهرب من سبع «

المُناجى

إن المواجه لله - سبحانه - يختلف باختلاف درجات ، أساس
الروحانية ، وهي تتناسب عند كل شخص مع درجته في معرفته إلى
الله سبحانه وتعالى .

إن مناجاة الدين بدءوا معراحهم إلى الله تعالى عن طريق الخطوة
الأولى وهي التوبة إنما تكون في جو

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١).

يكون في حو هذه الآية بمعناه المألوف ، أي أنه بعد ارتكاب
المعصية يحاول إزالتها ويرى الله سبحانه صدقة

ونقول : « بمعناه المألوف » ؛ لأن هذه الآية الكريمة بقولها
« ارتكب للمعصية ، فتكون بمعنى ، ويقولها الصالحون فيتلون معناها
بلون آخر ، ويقولها الصديقون الذين لا يرتكبون المعاصي ، وذلك
لأنهم صدقوا مع الله واستقاموا على الطريقة ، فيأخذ المعنى شكلاً
آخر .

ويقولها الأنبياء والمرسلون ، فلا يكون بينها وبين المعصية المألوفة
صلة من قريب أو بعيد .

لقد طلب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ شيئاً من
الدعاء يتبع به ، فعلمه رسول الله ﷺ الدعاء الآتي

(١) سورة الأعراف : ٢٣

«اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً (وعني رواية: كبيراً) ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .»

وهذا الدعاء، أي هو دعاء من جو النوبة، ولكنه على لسان أبي بكر رضي الله عنه لا يمتُّ بسبب من قريب أو من بعيد - إلى جو المعاصي التي تحدث من العامة أو الخهلة،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

«يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه : فإني أنوب إليه وأستغفره في اليوم مائة مرة .»

وتوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي هي توبة عادة، تصل بكثرة الحسنة، ولا صلة لها بالنسيئات .

ولشد كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما روى الشيخان، سندهما . عن أبي موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنه :

«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي حدي وهرلي، وحطئي وعمدي، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر . وأنت على كل شيء قدير»

وهذا الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمثاله، إنما هو عبادة لله سبحانه في صورة من صور العبادته، وهي صورة استدلال والعبودية، والابتعاد عن كل صور الفخر والكبرياء، وأدعاء الكمال وجو التوبة - بحسب هذا الشرح الذي شرحه - يختلف باختلاف

الذين ينجون الله، ويتسامى هذا الجؤ شيئاً شئئ، ويسير من التوبة
عن المعاصى إلى التوبة التى هى عبودية، تلك التى إذا أكثر الإنسان
منها أدخلته فى رحاب حب الله له :
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّابِينَ ﴾ (١).

ومسجاة أهل الورع إنما هى جو :

« اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ » .

وهذا الدعاء معناه احرمنى هو من سمات أهل الورع، وعادة
يكون فى السوء حتى المديه، ولكن معناه أيضاً يحصع لأشوا كثيره من
المعاصى بحسب القائلين، وتتسع المعنى فشمس الوحداسات
حصرات النفس وهمسات الصمير

ومن حاة الراهدين إنما تكون تضرعاً إلى الله سبحانه حتى يُيسر
لهم التحقق بمعنى الآية الكريمة :

﴿ لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٢)

فإذا وحد التحقق بمعنى الآية الكريمة وحد برهد

وقد يكون من مساحاة لرهدين طلب السعة فى رزق مثل :

« اللَّهُمَّ وَسِّعْ عَلَىٰ رِزْقِي فِي دُنْيَايَ ، وَلَا تَحْجُبْنِي بِهَا عَنْ أُخْرَايَ »

ولكن هذا الدعاء يكون فى جو :

﴿ لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٣)

(١) سورة البقرة ٢٢٢ .

(٢، ٣) سورة الحديد : ٢٣

وأنو الحسن الشاذلي الذي كان يقول هذا دعاء، كان يقول أيضاً
عن الدنيا :

« السهم أجعلها في أيديك ولا تجعلها في قلوبنا »

وهذا يماشى مع حر الآية الكريمة

ولا تنافي العبي و رهد- إدن- حيمما يتحقق الإسار ساخو
الشريف للآية القرآنية الكريمة

ومما جاء استوكليل يكون في حر لآيه كريمة

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

وهم يوقنون بالحقيقة القرآنية .

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٢)

وأحواء المناجاة لا تكاد تُحدُّ :

منها حر مؤمن آل فرعون ، وهو جو :

﴿ وَأَفْوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣)

وثمره هذا الحو إذا تحقق الإسار هزم ذكره الله تعالى بقوله

﴿ لَوْ قَاهُ اللَّهُ سِنِينَ مَا مَكْرُوا وَخَاقٍ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (٤)

ومها الحو اليونسي .

(١) سورة الممتحنة ٤

(٢) سورة الطلاق ٣

(٣) سورة عم ٤٤

(٤) سورة عم ٤٥

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

وهو هو توحيد ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾ ، وتبريه ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ ، وسنة
انصلم بمعاء العدم إلى النفس ﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢)

ومسب هو لرضا

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (٣)

ومسها هو احب

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (٤)

وأسمى الاحواء في المحاجة على الإطلاق - إن هو هو رسول

لله ﷺ ، وهو هو « الإسلام » : إسلام النفس لله .

إن هو رسول الله ﷺ الذي عبر إليه سبحانه وتعالى عنه

صرحه في القرآن الكريم قائلاً

﴿ قُلْ إِنَّا صَلَاتِي رُكُوعِي وَمَخِيَايَ وَمَعَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢)

لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١٦٣) ﴿ (٥)

إنه أخو لدى بيته رسول الله ﷺ حينما سئل عن الإسلام فقال

« أَنْ تُسَلِّمَ لِلَّهِ قَلْبُكَ » .

في ذلك ما أسلم الإنسان قلبه لله اضطر في ذلك كل المعاصم الموبة

لدمعة ، نورع ، الزهد ، التوكل ، التوحيص ، التمسك ، المحبة

٢ سورة الانعام ، ٨٧

(٤) سورة المائدة ٥٤

(١٠) سورة الاحقاف ٨٧

(٣) سورة المائدة ١١٩

(٥) سورة الانعام ١٦٢ ، ١٦٣

إن إسلام القلب لله أساس المقامات ودروتها، وهو المعنى الحقيقي لكلمة «إسلام».

ومن هنا كانت مناجاة رسول الله ﷺ لا تعدلها مناجاة.
ولقد تابع المسلمون رسول الله ﷺ ، في إسلام القلب لله ،
وتابعوه في مناجاته ، واختلعت ساحاتهم باختلاف منازلهم .
وإن الصوفية ، بل وغير الصوفية يعجبون - كل العجب - بمناجاة
ابن عطاء الله السكندري ، ويعجبون - كل الإعجاب - بمناجاة أبي
الحسن الشاذلي ممثلة في أحراره وأدعيته
ونحن هنا نذكر مجموعة من مناجاة ذي اسور المصري ، إنها تمش
درجته الروحية السامية ، وسرى الفارئ نفسه مدى السمو الذي
بلغه ذو النون .

يروى أبو عثمان سعيد بن الحكم قال سمعت ذا اسور يقول :
« إلهي.. إن كان صغراً في جنب طاعتك عمى ، فقد كُبرَ في جنب
رحمتك أملى » .

« إلهي .. كيف انقلب من عندك محروماً ، وقد كان حُسن ظني بك
منوطاً »

« إلهي .. فلا تبطل صدق رجائي لك بين الادميين »
« إلهي .. سمع العابدون مذكرك فخضعوا ، وسمع المذنبون بحسن
عفوك فطمعوا »

« إلهي .. إن كانت أسقطتني الخطايا من مكارم لطفك ، فقد اتسنى
ليقين إلى مكارم عطفك » .

« إلهي .. إنْ أَمْنَنْتَنِي الْغَفْلَةَ مِنْ الْإِسْتِعْدَادِ لِمَقَائِكَ فَقَدْ تُبْهَتَّنِي الْمَعْرِفَةُ بِكَرَمِ الْإِلَهِ » .

« إلهي . إنْ دَعَانِي إِلَى النَّارِ أَلَيْمَ عِقَابِكَ فَقَدْ دَعَانِي إِلَى الْجَنَّةِ حَرِيبُ ثَوَابِكَ »
ويقول :

أَمُوتُ وَمَا مَسَّاتُ إِلَيْكَ صَبَابَتِي وَلَا قُضِيتُ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أَوْصَارِي
مُنَايَ الْمُنَى كُلُّ لَمْنِي أَنْتَ لِي مُنَى وَأَنْتَ الْعَنَى كُلُّ الْغِنَى عِنْدَ اقْتِنَارِي
وَأَنْتَ مَدَى سُؤْيِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي وَمَوْضِعُ أَمَالِي وَمَكُونُ إِصْطَارِي

* * *

نَحْمِلُ قَلْبِي فِيكَ مَا لَا أَبْنِي وَإِنْ طَالَ سَقَمِي فِيكَ أَوْ طَالَ إِضْرَارِي
وَبَيِّنْ ضَلُوعِي مِنْكَ مَا لَكَ قَدْ بَدَا وَنَمْ يَبْسُدْ بِأَدِيهِ لِأَهْلِ وَلَا جَارِ
وَلِي مِنْكَ فِي الْأَحْشَاءِ دَاءٌ مُحَامَرٌ فَقَدْ هَدَّ مِنْهُ الرُّكْنَ وَانْبَتَّ إِسْرَارِي

* * *

أَلَسْتُ دَلِيلَ الرُّكْبِ إِنْ هُمْ تَحْيَرُوا وَمُنْقَذَ مَنْ أَشْفَى عَلَى جُرْفِ هَارِ
أَثَرْتُ الْهُدَى لِلْمُهْتَدِينَ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ النُّورِ فِي أَبْجِيهِمْ عَشْرُ مِغْشَارِ
قَتَلَنِي بِعَفْوِ مِنْكَ أَحْظَى بِقُرْبِهِ أَعِزَّنِي بِبُسْرِ مِنْكَ بِطَرْدِ إِغْسَارِي

* * *

وعن عبد القدوس بن عبد الرحمن لشامي . قال

سمعت أبا الفيض ذا النون يقول :

« إلهي .. من ذا الذي ذاق طعم حلاوة مناجاتك ، فألهاهُ شيءٌ عن طاعتك ومرضاتك ؟ .. »

أم من ذا الذي صمنت به النصر في دنياه وآخرته ، فاستنصر بمن هو مثله في عجزه وفاقته ؟ .. »

أم من ذا الذي مكفلت له بالرزق في سعمه وصحته . فاسترزق غيرك بمعصيتك في طاعته ؟ .. »

أم من ذا الذي عرّفته أئامه . فلم يحتمر خوفاً منك مؤونة فطامه ؟ .. »
أم من ذا الذي أطلعني على ما ليد ، ثم انقطع اليك من كرامته ، فاعرض عنك صفحاً بخلافاً إني ادّعه في طيب راحته ؟ .. »

أم من ذا الذي عرف دنياه وآخرته . فأثر الفاني على الباقي ' لحمله وجهاته ؟ .. »

أم من ذا الذي شرب الصافي من كأس محبتك ، فلم يستبشر بقوارع محبتك ؟ .. »

أم من ذا الذي عرف حس احتبارك . وقدرتك على نفعه وضره . فلم يكتف بك عن علم غيرك به ، ولم يسبغن بك عن قدرة عاجز مثله ؟ .. »

وعن سعد بن الحكيم القفدي ، قال : سمعت ذا النون يقول :
« كيف لا أبتهج بك سروراً ؛ وقد كنت أكدحُ ببابل حتى جعلتني من أهل استوحيد ؟ .. »

و عن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي ، قال
سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم المصري يقول :
« إلهي .. وسينني إلهي نعمك علي ، وشفيعي إليك إحسانك إني .
إلهي . أدعوك في الملا (الملا) كما تدعى لأرباب ، و دعوك في الخلا
(الخلاء) كما تدعى لأحباب . أقول في الملا يا إلهي ، وأقول في
الحلا : يا حبيبى .

أرعب إليك ، وتشهد لك بباربوبيه . مفرأ بأل ربى ، وإليك مردى .
أبدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً وخلفتني من تراب
ثم أسكنتني الأصلاب ، وبقيتني إني الأرحام .
نسب خلقى من مبي يُمى ، ثم أسكنتني في طلمات ثلاث . بين دم
ولحم ملات ، وكوّننى في غير صورة الإناث .
ثم بشرتني الى الذئب تاماً سوياً ، وحفظتني في المهد طفلاً صغيراً
صبياً ، ورزقنى من الغذاء لبناً مرياً ، وكلفتني حُجور الأمهات ،
واسكنت فلوبهن رقة لي وشفقة على ، وربّيتني بأحسن تربية ،
ودبرتني بأحسن تدبير ، وكلاّنى من طوارق الجن ، وسلمتني من
شياطين الإنس ، وصنّتى من زيادة فى بدنى نشيتنى . ومن نقص فيه
يعيبني ، فتبركت ربي وتعالبت يا رحيم .

فما اسنهللت بالكلام انممت على دوائغ الإعظام ، ونبتني رائداً في
كل عام ، فتعاليت يا ذا الجلال والإكرام .

حتى إذا ملكدنى شأنى ، وشددت أركانى ، أكملت لي عقلى . ورفعت
حجاب العفلة عن قلبي . وألهمنى النظر فى عجب صنائعك . وبدائع

عجائبك . وأوصحت بي حجبك . ودللتني على نفسك ، وعرفنتني
ما جاءت به رسلك ، ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرِّياس بِمَنك
العظيم ، وإحسانك القديم ، وجعلتني سَوْدًا .

ثم لم ترض لي بنعمة واحدة دون أن أتممت على جميع النعم ،
وصرفت عني كل بلوى ، وأعلمتني الفجور لأجنبه ، وانقوى لاقتربها ،
ورشدتني إلى ما يعرُبِي إِيكَ زُلْفَى ، فإن دعوتك جبنتني ، وإن سالتك
اعطيتني ، وإن حمدتك شكرتني ، وإن شكرتك زدتنني .

إلهي .. فأيُّ نعمك أُحصي عدداً ؟

.. وإي عطائك أقوم بشكره ؟

.. كم أسبغت عليّ من النعماء ؟

.. وكم صرفت عنيّ من الضراء ؟

إلهي .. أشهد لك بما شهد لك باطني وظاهري وركاني .

إلهي .. إني لا أصيق إحصاء نعمك ، فكيف أطيق شكرك عليها ، وقد

قلت وقولك الحق .

﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١) ؟

أم كيف يستعرق شكري نعمك ، وشكرك من أعظم النعم عندي ،
وانت المنعم به عليّ ؟ .. كما قلت سيّدي . ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ

اللَّهِ ﴾ (٢) . . . وقد صدقتُ قولك ؟

(١) سورة البحل . ١٨

(٢) سورة البحل . ٥٣

إلهي وسيدي .. بلغتُ رسلك بما أنزيت إليهم من وحيك ، غير أنني
أقول بجهدى ، ومبهدى علمى ، ومجهود وسعى ، ومبلغ طاقتى .
الحمد لله على جميع إحسانه ، حمداً يعدد الملائكة المفرسين .
والأنبياء المرسلين حتى تقيم قلبى بين صيحاء معرفت ، وبذيقنى طعم
محببتك ، ونبرد بالرضا منك فؤادى وجميع أحوالى ، حتى لا احتار
غير ما تختاره ، وتجعل لى مقاماً بين مقامات أهل ولايتك ، ومضطرباً
فسحاً فى ميدان طاعتك .

إلهي .. كيف اسررتنى من لا بررقنى إلا من فصل " ام كيف أسخطك
فى رضا من لا يقدر على صرى إلا بمكينتك ؟
فيا من أسأله إينساً به ، وإيحاشاً من حلقه ، وب من إليه التجائى
فى شدى ورهائى ارحم غربى ، وهب لى من المعرفة ما أزداد به
يقيناً ، ولا تكلنى إلى نفسى الأمارة بالسوء طرفه عين " .
وحدث سعيد بن حكيم ، قال سمعت د النور يقول .
حرق فى صب المباحاة ، فبدأ أنا بصوت ، فعدت إليه ، فإذا أن
رجل قد عصى فى حره ، وحرح على سحل لكمه ، وهو
يقول فى دعائه :

" أنت تعلم أن الاستغفار مع الإصرار لؤم ، وأن تركى
الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك لعجز
إلهى . أنت الذى حصصت حصائلك بخالص الإخلاص ، وأنت
الذى سممت قلوب العارفين من اعتراض الوسواس ، وأنت الذى نسيت

الانس من اوليائك . واعطيتهم كفايه رعاية المتوكلين عليك . تكلؤهم
في مصاحبتهم ويطلع على سر نثرهم وسرى عندك مكشوف وانا ابيت
ملهوف »

قال : ثم سكنت فلم أسمع له صوتاً .

ثم سمعته يقول

« لك الحمد يا ذا امن والطول . والالاء والسعه . ابك نوحها .
وبفنائك مخا . ولمعروفك تعرصنا . وبهربك نزلنا . يا حبيب
النبيير . ويا سرور العابدين . ويا ايس المنفردين . ويا حرر
الاحثين . ويا ظهر المحططين . ويا من حبب اليه قلوب العرقين . وبه
نسنت أفئدة الصديقين . وعليه عكفت رهبة الخائفين .

يا من اداق قلوب العابدين بديد الحمد . وجلوة الانعطاع اليه
يا من بقل من ناب . وبغفو عمى ناب . ويدعو المولى كرماً . ويرفع
المعلمين اليه بفصلاً

يا من يدانى على اخاصين . ويحلّم عن الجاهين .

يا من حل عفدة الرعية من قلوب وليائه . ومحا شهوة الدنيا عن
فكر قلوب حاصه وأهل محبته . ومنحهم منازل الغرب والولاية
ويا من لا يضيع مطيعاً . ولا ينسى حبيباً .

يا من منح بالنوال . ويا من جدد بالانصال . يا ذا الذى اسدرك
بالنوبة دنوبنا . وكشف بالرحمة غمومنا . وصفح عن حرماننا بعد
جهلنا . وحسن إلينا بعد إساءتنا . يا آس وحشما . ويا طبيب سقمنا .

يا عبث من أسقط بيده ، وبمكر حبل المعاصي من عنقه ، وقرّ حذر
الحياء عن وجهه ، هبْ خدودنا للتراب بين يديك ، ب خير من قدر ،
وأرأف من رحم وعفا ١

وكان ذو النون يقول في مناجاته

١ يا واهب المواهب ، ومُحَرِّر الرغائب ، اعود بك من النزول بعد
الوصور ، ومن الكدر بعد الصفاء ، ومن الوحشة بعد الانس ، ومن
طائف الحسرة بعارض الفترة ، ومن تعيير ارضا ٢

٢ روى ابن ماكويه عن يوسف بن الحسين قال كان من مدحاه ذي
النون أنه كثيراً ما كان يقول :

٣ اللهم بحباتك الدائمة القائمة على كل نفس بما كسبت ، أكسُ
وجهي حياء ، وارزقني طاعةً أطعك بها في الدنيا ٤

وكان يقول

٤ لننْ مددتُ يدي إليك داعياً .. لطالما كهيتني ساهياً . كيف بشقّي
بالدعاء من كُفّي قبل الدعاء ؟ ..

الهمم حسبي من سؤالي علمك بحالي ٥ .

وقال وسمعت ذو النون يقول :

٥ لننْ مددتُ يدي إليك داعياً ، لطالما كهيتني ساهياً .

.. أقطع منك رحائي بما عملت يداي ؟

.. حسبي من سؤالي علمك بحالي ٦ .

وفال :

« إلهي .. إنَّ الشيطان لك عدوٌّ ولسا عدوٌّ ، ولم يعطه بنسبي أنْكي له
من عفوك عذًا ، فاعفُ عني » .

وعن عبد الله بن محمد بن ميمون ، قال سمعت دا النون يقول
في مناجاته :

« سيدي ! زمانٌ مكيد ، وسلاءٌ عتيد ، وجهدٌ جهيد ، وامرٌ بعيد ، وشيطانٌ
مريد ، وعيشٌ كدود ، وعدوٌّ حسود ، وخُفٌّ موجود ، ووفاقٌ مفقود ،
فكيف النجاة إلا بعصمتك أبها المعبود » .

وعن محمد بن عبد الملك ، قال ، سمعت دا النون يقول :
« اللهم اجعلنا من الذين استنبطوا الحذر ، وقرأوا صُحف الخطايا ،
وأكثرُوا [من التفكير في] دواوين الذنوب ، فأورثهم الفكرة الصالحة
في المنقلب » (١)

وعن أحمد بن علي العدادي ، قال
كنت عند دي النون وعنده جماعة من المتعلمين ، فقاروا
« ادعُ لما يا أبا الفيض »
فقال لهم

« جمعكم الله من ادبر سلكو ، حلاف دار الظالمين ، واستفوحسوا من
مؤانسة الجاهسين ، واجنبوا ثمار الكد ، فورثهم حسن المآب ، فقطعوا
الاحزان ، ووصلوا إلى الحنان ، وأمنوا من البوار فاستقرت بهم الدار ،
بقرب الملك الجبار »

(١) أحسن تهذيب

وعن محمد بن أحمد الشمشاطي ، قال سمعت ذا النور يقول
« إن لله عباداً ملأ قلوبهم من صفاء محبته وهيَّج أرواحهم بالشوق
إلى رؤيته ، فسبحان من شوق إليه أنفسهم ، وأدنى منه هممهم ، فهو
مؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم .

إلهي .. بك تواضعت أبدانهم ، وإلى الزيادة منك انبسطت قدامهم ،
فأدقنتهم من حلاوة أفهم ما طيبت به عيشتهم ، وأدمنت به نعيمهم ،
ففتحت لهم أبواب سماواتك ، وأبحت لقلوبهم الجولان في ملكوتك
عليك مغول شوق المشتاقين ، وإليك هفت قلوب العارفين ، وبك
أست قلوب الصادقين ، وعليك عكفت رهبة الخائفين وبك استجارت
أفئدة المفصرين ، فهم لا يسكنون إلى محادثة الفكر فيما لا
يعنيهم ، ولا يفترون عن التعب والسهر .

يناجون ربهم بالسفتهم ، ويتضرعون إليه بمسكنتهم ، يسألونه
العفو عن زلاتهم ، والصفح عما وقع من الخطايا في أعمالهم ، فهم
الذين نابت قلوبهم بذكر الأحزار ، وخدموه خدمة الأبرار الذين حفيت
أعمالهم عن الحفظة ، فوقع بهم ما أمكوه من عفو ، ووصلوا إلى ما
أرادوا من محبته ، فهم - والله - الزهاد والعباد ، الذين حملوا أثقل
الزمان فلم يتألموا ، وثبتوا في مواطن الامتحان فلم تزل أقدامهم عن
موضعها ، حتى ملهم الدهر ، وهابتهم المصائب ، وذهبوا بالصدق
والإخلاص عن الدنيا .

إلهي فبك نلوا ما أمكوا ؛ إذ كنت لهم - سيدي - مؤيداً ، ولعقولهم
مُعِيناً ، حتى أنطقهم بلسان الصادقين في علمك ، وأوصلهم إلى

منازل المخلصين في معرفتك ، فهم إلى وعد سيدهم مطيعون ، وإلى ما عنده ناظرون.

ذهبت لآلام من أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته ، ولما أذاقهم من طرائف الفوائد من عنده ، فبها حسنتهم والليل قد أقبل بحئاس^(١) ظلمته ، وهدأت عنهم أصوات خليقته ، وقد قدموا إلى خدمه سيدهم اندى وفقهم لما يعمون ويؤملون ، فخطر على سرهم أن ذلك المقام اندى بقومون فيه لرب العالمين ، فأنخلعت قلوبهم ، وذهلت عقولهم ، وصاروا كالمعلق بين السماء والأرض... أخياراً أياراً ؛ أنسوا بيقين المعرفة ، وسكنوا لى روح احياء والمراحمه^(٢)

وقال

« اسالك باسمك الذى ابتدعت به عجائب الخلق ان تجعلنا من الذين سربوا بكأس الصفا فأوربهم الصبر على طول البلاء حتى بولت قلوبهم فى الملكوت ، وجالت بين سائر حُجُب الجبروت ، ومالت أرواحهم فى ظل برد نسيم المشتقين، الذين أناخوا فى رياض الراحة ، ومعدن العز ، وعَرَصات المخلدين » .

وقال ذو النون :

« إلهى .. ما أصغى إلى صوت حيوان ، ولا حفف شجر ، ولا خرب ماء ، ولا ترئم طير . ولا تنعم ظر ، ولا دوى ريح . ولا قعقة رعد ؛ إلا

(١) الحئاس الضميمة ، والليل الشديدة ظلمته وأسوأ حال من شدة سواد

والجمع : حئاس . والحئاس : ثلاث ليال فى آخر أشهر

(٢) آخر حه أو نعيم

وجديها شاهده بوحدانيتك، دالة على كمار عرك، وعنى انه لبس كمثلك
سوء . ونب غالب لا نُغيب وعليم لا يحفل ، وحليم لا يسفه ، وعدل
لا نحور، وصادق لا تكذب.

الهي . فبى اعترف بما دل عليه صنعك . وشهد به فعئت ، فهب لي
- اللهد - طلب رضاك برضاى عنت . ومسرّة الواس بولدك بذكرك لحبي
لك ، ووقار الطمانينة وتطلب القرب منك..

الهي عرفت عيوب نفسى وافضحها عندي للتنزّه عنها . و بعيل
ابيك بي بديك حاضعا دليلا فى ن عسلى منها، واجعنى من عبادك
الذين سهت بديهم . وعانت عيوبهم ، تحور فى ملكوتك . ونفكر فى
عذائب صنعك، ونرجع بفوائد معرفك وعوائد احسانك، قد اليستهم
جسع محبب . وحلعت عنهم لباس التبرير بعيرك.

الهي لا تترك بينى وبين فضى مرادك منى حجاباً الا هيكته، ولا
حاجزاً الا رفعه . ولا وعرا الا سبله . ولا باباً الا فتحه ، وبرّد
بارصا منك هوائى وجميع حوائى . حتى لا احذر غير ما فحارده .
وتحضر لى مقام بين مقامات اهل ولايتك، ومضطرب فسيح فى مبدن
طاعتك

الهي . كيف سترزق من لا يرزقنى إلا من فضلك .

ام كيف استنصر من لا ينصرنى إلا بك ؟ .

ام كيف اسخطك فى رضا من لا يقدر على صرى إلا بمكينك ؟..

فد من اسأله بناساً وأماناً من جفقه .. ويا من اليه لجأ فى شدنى

ورحائى ارحم غربتى . وهب لي من المعرفة ما ارداه به بعيناً.

ولا تكلنى إلى نفسى الأماره بالسوء طرفه عين "

وعن عثمان بن محمد العثماني قال : أشدني العباس بن أحمد
بدي النون المصري

إِذَا ارْتَحَلَ الْكَرَامُ إِلَيْكَ يَوْمًا لِيَلْتَمِسُوكَ خَالًا بَعْدَ خَالٍ
فَإِنَّ رَحَالَنَا حَطَّتْ لِنَرْضَايَ بِحِلْمِكَ عَنْ حُلُولٍ وَارْتِحَالٍ
نَحْنًا فِي فِتْنَاتِكَ يَا إِلَهِي إِلَيْكَ مُعَرِّصِينَ بِلَا اِعْتِدَالٍ
فَتَشْنُنًا كَبُفًا شَدَّتْ وَلَا تَكَلُّمًا أَلِي تَذْيِيرِنَا يَا ذَا الْمَعَالِي

وعن يوسف بن الحسين ، قال . سمعت ذا النون يقول :

« أَفَسَمِعْتُ بِفَعْلِكَ الْمَحْمُودِ ، وَعَهْدِكَ الْمَعْقُودِ.. أَلَا نَحْذَرُونَكَ خَلِيلًا » .
وسمعه يقول :

« أَشْرِقَ لِدَوْرِهِ السَّمَوَاتِ ، وَأَنَارَ بَوَاجِهُهُ الظُّلُمَاتِ ، حَجَبَ حِلَالِهِ عَنِ
الْعَيُونِ ، وَوَاصَلَ بِهِ مَعَارِفَ الْقُلُوبِ ، وَتَاجَأَهُ عَلَى عَرْشِهِ الْبَسْتَةُ
الْصُدُورِ .

إِلَهِي .. تَسَنَّحَ بِكَ كُلُّ شَجَرَةٍ ، وَبِكَ تَقَدَّسَ كُلُّ مَدْرَةٍ ، بِأَصْوَاتِ خَفِيَّةٍ
وَبَعَمَاتِ زَكِيَّةٍ .

إِلَهِي . قَدْ سَعَتْ بَيْنَ يَدَيْكَ قَدَمِي ، وَرَفَعَتْ إِبْرِكَ بَصْرِي وَسَعَتْ إِلَى
مَوَاهِبِكَ بَدِي ، وَصَرَخَ إِلَيْكَ صَوْتِي ، وَأَنْتَ الَّذِي لَا يُضْجِرُهُ النَّدَاءُ ،
وَلَا يَخِيبُ مِنْ دَعَاكَ .

إِلَهِي .. هَبْ لِي بَصْرًا يَرْفَعُهُ إِبْرِكَ صِدْقُهُ ، فَإِنَّ مِنْ تَعَرُّفِكَ غَيْرُ
مَجْهُولٍ ، وَمَنْ يَلُوذُ بِكَ غَيْرُ مَخْذُولٍ ، وَمَنْ يَبْتَهِجُ بِكَ لَمْ يَسْرُورْ ، وَمَنْ
يَعْتَصِمُ بِكَ لَمْ يَصُورْ » (١)

(١) حُرَّجَهُ أَبُو نَعِيمٍ

وعن الحسن بن علي بن خلف قال : سمعت سرافيل يقول
سمعت ذا النون يقول

« يا رب ، أنت الذي دخل في رحمتك كل شيء ، قلم بضق إلا غمّن
ارتحل به الشك إلى جحديك » .

وفي « الحلية » قال ذو النون

« اللهم اجعلنا من الذين تفكروا ، فاعتبروا .. وتظنوا ؛ فبصروا ..
وسمعوا ، فسلّفت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة .. حتى أناخت
واكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها . ففتقوا بنور الحكم ما رتقته
ظلم الغفلات .. وفتحوا أبواب معاسيق العمى بأنوار مقاتيح انضياء
وعمروا محالس الذاكرين بحسن استدامة الثناء .

اللهم احبنا من الذين أسبلت عليهم سُور عصمة الأولياء ..
وحصنت قلوبهم بطهارة الصفاء . وزيّنتها بالهيم والحياء ؛ فطُيرت
همومهم في ملكوت سمواتك حباً حجاباً ، حتى انتهت إليك فرددها
بطرائف العوائد .

اللهم احبنا من الذين سهل عنهم الطاعة . ومكنوا من أزمه (١)
التقوى .. ومحو بالنسوفيق منازل الأبرر ؛ قرّبوا وقربوا وأكرموا
بخدمتك » .

(١) أزمه ، تقوى ، أي رومها وبوصة علي

وقال

« إنك ملك مُقْتَدِر وأنا عبدٌ مُقْتَعِر. سالك اسعفو سُدًّا : فدعْ طيبه
تفضلاً » .

وقال

« إلهي .. ان كان صغر في حبب طاعتك عملي ، فقد كبر في جنب
رجائك أُملي .

إلهي . أنا عبدك المسكين ، كيف أنقلب من عندك محروماً ، وقد كان
حسن طلي بجودك ان تقبلني بالنجاه مرحوماً .

إلهي .. سمع العابدون بذكرك فخضعوا ، وسمع المذنبون بحسن
عفوك فطمعوا .

إلهي .. إن كانت أسقطني الخطايا لذك : فاصْفَحْها لي بحسن
توكُّلي عليك .

إلهي .. إن كانت أسقطتني الخطايا من مكارم لطفك ، ففد آتسني
اليقين إسي مكارم عصفك » .

وعن علي بن الهيثم المصري ، قال :

سمعت دا النور المصري العابد أبا الميصر يقول

« اللهم اجعلنا من الذين جازوا ديار الظالمين ، واستوحشوا من
مؤانسة الجاهلين ، وشابوا ثمرة العمل بنور الإخلاص ، واستبقوا من
عين لحكمة ، وركبوا سفينة الفطنة ، وأقلعوا بريح اليقين ، ولحجوا في
بحر النحاة ، ورَسَوْا بشطَّ الإخلاص .

اللهم اجعل من الدين سرحاً ارواحهم في الغلا، وحطت همت قلوبهم في عاديات النقي، حتى اناخوا في رياض النعيم، وجنوا من رياض ثمار النسيم، وخاضوا لجة السرور، وشربوا نكاس العيش، واستظلوا تحت العرش في الخرامة.

اللهم اجعل من الذين فنحوا باب الصبر، وردموا حنادق الحرع، وجازوا شديد العقاب، وعبروا جسر الهوى، قابله تعالى يقول:

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) » (١).

اللهم اجعلنا من الدين اشارت إليهم أعلام إهدايه، ووضح لهم طريق النجاة، وسلكوا سبيل إخلص اليقين،

وعن سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون يدعو:

« اللَّهُمَّ نَجِّ أَبْصَارَنَا بِجَوْلَانٍ فِي جَلَالِكَ، وَسَهِّرْنَا عَمَّا نَامَتْ عَنْهُ عُيُونُ الْعَاقِلِينَ، وَاجْعَل قُلُوبَنَا مَعْقُودَةً بِسُلَّاسِلِ النُّورِ، وَعَلِّقْهَا بِأَطْنَابِ الدِّفْعَرِ وَبَرِّدْ أَبْصَارَنَا عَنْ مَوَاقِفِ الْمُتَحَيِّرِينَ، وَاطْلُقْنَا مِنَ الْأَسْرِ لِنَجُولَ فِي خِدْمَتِكَ مَعَ الْجَوَالِينِ.

اللهم اجعلنا من الذين بخدمتك في أقطار الأرض طلاباً، ولخصائص صفات اصحاباً، وللمرئوس المعتكفين بربك احباباً »

وعن محمد بن عبد الملك بن هاشم، قال:

سمعت ذا النون المصري يقول في دعائه:

(١) سورة السجدة ٤١، ٤٠

« اللهم إليك تقصّدُ رعبتي ، وبإيّدك أسألُ حاجتي ، ومنك أرجو نجاح طلبتي ، وببيدك مودتيحُ مسألتِي ، لا أسألُ الخيرَ إلا منك ، ولا أرجوه من غيرك ، ولا أياسُ من روحك بعد معرفتي بفضلِكَ يا من جمع كل شيء حكمتُه ، ويا من نفذ في كل شيء حكمه ، يا من الكريم اسمه ، لا أجد لي غيرك فأسأله ، ولا أثق بسواك فأمله ، ولا أحمل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها ، وأتوكل عليه ، فمن أسأل إن جهلْتُك ؟ وبمن أثق بعد إذ عرفتُك ؟

الهم إن ثقّيتُ بك ، وإن ألهمتني الغفلات عنك وأبعدتني العثرات منك بالاعتذار ، أنا نعمة منك ، وأنا قدر من قدرك ، أحرى في نعمك ، وأسرح في قدرك ، لا أزداد على سابقة علمك ، ولا أبتقص من عزيمه أمرك ، فأسألك يا منتهى السؤال ، وارغب إليك يا موضع الحاجات ، أن تُهب لي إيصالاً أقدم به عليك . وأن تُهب لي يقيناً لا يُوهيه شبهة إقن ترحب به صدري ، ونيسر به أمري ، ويأوي إليّ محبتك قلبي . حتى لا ألهو عن شكرك ولا أنعم إلا بذكرك ، يا من لا تملّ حلاوة ذكره السرّ الخافين ، ولا تكلّ من الرغبات إليه مدايح الخاشعين ، أنت منتهى سرائر قلبي هي خفايا الكتم . وانت موضع رجائي بين إسراف لظلم

من ذا الذي داق حلاوة مناجاتك ، فلهي بمرضاة بشر عن طاعت ومرصات ؟

ربّ افنّبتُ عمري في شدة السهو عندك ، وأبليت شبابي في سكرة استبعاد منك ، مع لم أستبطني بـ كلاءة ومعة في أيام اغتراري بك وركوني إلى سبيل سخطك ، وعن جهل - يا رب - قرّبتني العرة إلى

غصبك ، أنا عبدك ابن عبدك ، قائم بين يديك ، متوسل بكرمك إيت ، فلا يزلني عن مقام أقيمتني فيه غيرك ، ولا ينقضي من موقف السلامة من نعمك إلا أنت ، أتوصل إليك مما كنت أواجهك به من قلة استحيائي من نظرك ، وأطلب العفو منك يا رب ؛ إذ العفو نعمة لكرمك ، يا من يُعصني ويُتاب إليه فيرضى كأنه لم يُعص ، بكرم لا يُوصف ، وتَحُثُّ لا بُنعت ، با حُثُّ بشفقته ، يا منجاوزاً بعظمته ، سم بكن لي حَوْلْ فأنقل عن معصيتك إلا في وقت أيقظتني فيه لمحبتك ، وكما أردت أن أكون كنت ، وكما رضيت أن قول قلت ، خضعت لك وخشعت لك.

إلهي .. لِتُعَرِّبْنِي بِإِدْخَالِي فِي طَاعَتِكَ ، وَلِتَنْظُرْ إِلَيَّ نَظْرَ مَنْ نَادِيته فَأَجَابَكَ ، وَاسْتَعْمَلْتَهُ بِمَعُونَتِكَ فَأَطَاعَكَ. يا قريب لا تبعد عن المغترين، ويا ودود .. لَا تَعْجَلْ عَلَى الْمُذْئِبِينَ .. اغْفِرْ لِي ، وارحمني ، يا ارحم الراحمين .»

وعن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي قال : سمعت داود يقول

« إلهي .. إن أهل معرفتك لما أبصروا العافية ولمحوا بأنصارهم إلى منتهى العاقبة ، وأنقوا بجلود وكرمك ، وأبدأوا إياهم بنعمك ، ودللته على ما فيه نفعهم ، ذ كنت متعالياً عن المضار والمنافع استقلوا كثر ما قَدَّمُوا من طاعتك ، واستصغروا عظيم ما اقترفوا من عبادتك ، وسئَلُوا ما استَوْعَرَهُ غيرُهم ، بذلوا المجهود في طلب مرضاتك ، واستعظموا صغير انتقصير في أداء شكرك ، فنجيت بذلك

ابدانهم ، وتعبرت لذلك ابو نهم . وخلصت من غيرك قلوبهم . وشتغلت
بذكرك عقولهم واستسئهم ، واصرفت عن خلقك إليك همومهم ، وانست
وطابت بالخلوة فيك نفوسهم . لا يمشون بين العباد إلا هوناً ،
وهم لا يسعون في طاعتك إلا ركضاً.

إلهي .. فكما أكرمتهم بشرف هذه المنارل ، وأبختهم رفعة هذه
الفضائل ، أعقد قلوبنا بحل محبتك ، ثم جولنا في ملكوت سمواتك
وأرضك ، واسدرجنا إلى أقصى مرادك درجة درجة ، واسكن بنا مسلك
اصفيك منزلة منزلة ، واكشف لنا عن مكنون علمك حجاباً حجاباً
حتى تنتهي إلى رياض الأنس ، ونجتنى من ثمار اشواق إليك . ونشرب
من حياض معرفتك ، وننتزه في سساتين نشر الآثك ، ونستنقع في
عدران ذكر نعمائك ، ثم ارددها إلينا بطرف الفوائد ، وامددها بتحف
الزوائد ، واجعل لعبون منا فؤارة بالعبرات ، والصدور منا محشوة
بالحرقات ، واجعل قلوبنا من انقبوب التي ساقرت إليك بالحوح
واعطش ، واجعل أنفسنا من الأنفس التي زالت عن اختيارها بهيبك .
أحياناً ما احيينا على طاعتك ، ووقوفنا إذا بوقيد على ملك راضين
مرصين ، هداه مهدين ، غير مغضوب علينا ولا ضالين .

وعن عثمان بن محمد العثماي ، قال :

أشدي محمد بن عبد الملك بن هاشم لدى لسون بن إبراهيم
المصري ، رحمه الله تعالى :

لِحَمْدُ لَهُ حَمْدًا لَا يُقَارَنُ لَهُ
 حَمْدًا يَفُوتُ مَدَى الْأَحْصَاءِ وَالْعَدَدِ
 مَلَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مَدُّ خَلْقَتْ
 وَوَزَنَهُنَّ وَضَعُفَ الصَّغْفِ فِي الْعَدَدِ
 وَصِغْفَ مَا كَانَ أَوْ مَا قَدْ يَكُونُ إِلَى
 يَوْمِ الْقِنَامَةِ أَوْ يَقْنَى مَدَى الْأَبَدِ
 وَضِعْفَ أَنْعَمِهِ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
 وَكُلِّ نَفْسِهِ نَفْسٍ وَاحْتِسَابِ بِدِ
 شُكْرًا لِمَا حَصَدَ مِنْ فَضْلِ نِعْمَتِهِ
 مِنْ الْهُدَى وَلَطِيفِ الصَّنْعِ وَالرُّقْدِ
 رَبِّ تَعَالَى .. فَلَا شَيْءَ يُحِيطُ بِهِ
 وَهُوَ الْمُحِيطُ بِنَا فِي كُلِّ مَرْتَصِدِ
 لَا الْأَيْنَ وَالْحَسِينَ وَالْكَيفَ يُدْرِكُهُ
 وَلَا يُحَدُّ بِمُسْقُودٍ وَلَا أَمَدِ
 وَكَيْفَ يُدْرِكُهُ حَدٌّ وَلَمْ تَرَهُ
 عَيْنٌ وَنَيْسَ لَهُ فِي الْمِثْلِ مَنْ أَحَدِ
 أَمْ كَيْفَ يَبْلُغُهُ وَهَمٌّ بِلا شَبِهِهِ
 وَفَدُّ تَعَالَى عَنِ الْاِسْتِبَاهِ وَالْوَلَدِ

مَنْ أَنْشَأَ الشَّيْءَ قَبْلَ الْكَوْنِ مُبْتَدِعًا
 مَنْ غَيْرِ شَيْءٍ قَدِيمٍ كَانَ فِي الْأَبَدِ
 وَدَهَرَ الدَّهْرَ وَالْأَوْقَاتِ وَاحْتَكَمْتُ
 بِمَا بَشَاءَ فَلَمْ تَنْقُصْ وَنَمْ تَزِدِ
 إِذْ لَا سَمَاءَ وَلَا أَرْضَ وَلَا شَيْعَ
 فِي الْكَوْنِ سُبْحَانَهُ مِنْ فَاهِرِ صَمَدِ
 مَا أَرَادَ بِالْخَلْقِ مُلْكًا حِينَ أَنْشَأَهُمْ
 وَلَا يُرِيدُ بِهِمْ دُفْعًا لِمُضْطَّهِدِ
 وَكَيْفَ وَهُوَ غَنِيٌّ لَا أَفْبِقَارَ بِهِ
 وَالْخَلْقُ تَضَطَّرُّ بِالتَّصْرِيفِ وَالْأَدَدِ
 وَلَمْ يَدْعُ خَلْقَ مَا لَمْ يَبْدُ خَلْقُهُ
 عَجْزًا عَلَى سُرْعَةٍ مِنْهُ وَلَا يُؤَدِّ
 إِخْطَاةً بِجَمِيعِ الْغَيْبِ عَنْ قَدْرِ
 أَحْصَى بِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ وَمُقْتَدِرِ
 وَكُلُّهُمْ بِضُطْرَارِ الْفَقْرِ مُعْتَرِفِ
 إِلَى فَوَاضِلِهِ فِي كُلِّ مُعْتَمِدِ
 الْعَالَمِ الشَّيْءَ فِي تَصْرِيفِ حَالَتِهِ
 مَا عَادَ مِنْهُ وَمَا بِمُحْصِي فَلَمْ نَعُدِ

وَيَعْلَمُ السِّرَّ مِنْ نُجْوَى الْقُلُوبِ وَمَا
يَخْفَى عَلَيْهِ خَفِيَ جَالٍ فِي خَلْدٍ
وَبَسْمُغِ الْحَسْرِ مِنْ كُلِّ الْوَرَى وَيَرَى
مَذَارِجَ الدَّرِّ فِي صَفْوَانِهِ الْجَدِّ
وَمَا تَوَارَى مِنَ الْأَبْصَارِ فِي ظُلْمٍ
تَحْتَ الثَّرَى وَمَرَارِ الْعَمْرِ وَالْأَمْدِ (١)
الْأَوَّلُ الْآخِرُ الْقَرْدُ الْمُهَيِّمُ لَمْ
يَعْرُبْ وَلَمْ يُنْكَرْ لِلْقُرْبِ وَلِبُعْدِ
ذَاكَ عَلَى عِلْمٍ قَدِيمٍ لَا زَوَالَ لَهُ
وَلَمْ يَزَلْ أَرْسِيًّا غَيْرَ دِي قَسْفِ
وَجَلَّ فِي الْكُنْهِ عَنْ وَصْفِ الصِّفَاتِ وَعَنْ
مَقَالِ ذَوَى الشُّكِّ وَالْإِسْحَادِ وَالْعِنْدِ
مَنْ لَا يُجَاوِزِي بَعْغِي مِنْ قَوَاضِيهِ
وَلَمْ يَدْلُهُ بِمَسْحٍ وَصْفٍ مُجْتَهِدِ
مُسَبِّحٍ بِلُغَاتِ الْعَارِفِينَ بِهِ
لَمْ تَذَرْ مَا غَيَّرَهُ رَبًّا وَلَمْ تَجِدْ

(١) الماء انقبض

الغابِقِ اسْتُورَ وَالْخُلُمَاءُ وَهِيَ عَلَى

مَا تَقَادَّفَ بِالْأَمْوَاجِ وَالرُّبَدِ

بِرَأِ السَّمَوَاتِ سَقْفًا ثُمَّ أَنْشَأَهَا

سَبْعًا طِبَاقًا بِأَعْوُنٍ وَلَا عَمَدٍ

تُقَلِّهِنَّ مَعَ الْأَرْضَيْنِ قَدْرَهُ

وَكُلُّ ذِكِّكَ لَمْ يَثْقُلْ وَلَمْ يَوُدِّ

وَبَتْ فِيهَا صُنُوفًا مِنْ بَدَائِعِهِ

مِنْ الْخَلَائِقِ مِنْ مِثْنَى وَمِنْ وَحْدٍ

مِنْ كُلِّ جَنْسٍ بَرًّا أَصْنِافُهُ وَذَرًّا

أَشْجَارُهُ نِيزَ مَكْسُوءٍ وَمُنْجَرِدٍ

فِيهَا الْمَلَائِكُ بِالشَّيْبِ خَاضِعَةٌ

لَا يَسْأَمُونَ سَطُولَ الذَّهْرِ وَالْأَمَدِ

وَصِيرَ الْمَوْتَ فَوْقَ الْخَلْقِ لَا لَجَأَ

مِنْهُ وَلَا هَرَبَ مِنْهُ إِلَّا إِلَى سَيِّدِ

قَالَ كُلُّ مَيِّتٍ وَكُلُّ هَالِكُونَ خَلَا

وَجْهَ إِلَهِ الْكَرِيمِ لِدَائِمِ الصَّمَدِ

أَفْسَى الْقُرُونِ وَأَفْتَى كُلِّ دَى عَمَرِ

خَعْمَرِ نُوحٍ وَلُقْمَانَ أَخِي لَدِ

يَا رَبُّ نَكِّدُوا عَفْوَ وَمَغْفِرَةً
فَنُجِّئًا مِنْ عَذَابِ الْمَوْقِفِ الْبَئِيدِ
وَاجْعَلْ إِلَى حَبَّةِ الْفَرْدَوْسِ مَوْثِقًا
مَعَ النَّبِيِّينَ وَالْأَبْرَارِ فِي الْحُلْدِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزِّ مِنْ مَلِكٍ
مَنْ اهْتَدَى بِهِدَى رَبِّ الْعَالَمِينَ هُدًى

* * *

الواعظ

يقول سبحانه :

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .

لقد جعل الله سبحانه من وسائل الدعوة إليه : الموعظة الحسنة .

ويقول تعالى عن القرآن الكريم :

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

ويقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٣) .

ويقول تعالى

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَظْمِكُمْ بِهِ ﴾ (٤)

فالقرآن الكريم موعظة من الله لعباده ، وهو سبحانه يعظ عباده بالقرآن الكريم .

(١) سورة النحل : ١٢٥ .

(٢) سورة المائدة : ٤٦ .

(٣) سورة يونس : ٥٧ .

(٤) سورة البقرة : ٢٣١ .

ولقد حثَّ الله سبحانه على لوعظ ، بل حث على الوعظ حتى
فى الحالات التى لا أمر فيها ، وجعل الوعظ فى هذه الحالات معذرة
إليه سبحانه ، وانه يقول

﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ
رَبِّكُمْ وَأَعْلَاهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١).

وبعد وعظ القرآن بالقصص ، وتصمَّم القصص القرآنى الكثير من
المواعظ ، وبين الكوارث التى حافت بالأمم التى لم تستحب للموعظة
فى تصحيح العقيدة ، أو التى لم تستحب للموعظة فى التزام مكرم
الأخلاق .

- لقد أغرق الله قوم نوح لشركهم

- ودمر قوم لوط لشذوذهم .

- وحسف بقارون لرحسبه .

- وأباد قوم شعيب ؛ لأنهم طغفوا ، كُئِلَ والميزان ونَحَسُوا الناس

حقوقهم .

ويقول سبحانه عن القصص القرآنى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

الْقُرْآنَ ﴾ (٢).

وأحسن القصص هو القصص الملىء بالحكمة والعظة والعبر .

وكبر القرآن وعظ - أيضاً - بالأسلوب المباشر . ومواعظه فى هذا

المحال كثيرة مستفيضة

(٢) سورة يوسف ٣

(١) سورة الأعراف ١٦٤

إن القرآن موعظة . .

والموعظة قسم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو جزء من الجهاد في سبيل الله . .

ومن أجل ذلك اهتم الصوفية به ، فكذبوا وعظّموا بالسياسة ، وكانوا وعظّموا بسميتهم ، وكانوا وعظّموا بسلوكهم ، وكانت حياتهم وعظما وهداية للآخرين .

وقد استمضى دور لون فيما يتعلق بالموعظة ، وكانت له موعظة بلغت في السموّ حداً بعيداً ، وفيما يأتي بعض موعظه :

« مَنْ نَظَرَ فِي عَيْوَبِ النَّاسِ عَمِيَ عَنْ عَيْوَبِ نَفْسِهِ ، وَمَنْ غَنِيَ بِالْفَرْدُوسِ وَالنَّارِ شَغَلَ عَنِ الْقَبْلِ وَالْقَالِ ، وَمَنْ هَرَبَ مِنَ النَّاسِ سَكَمَ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَمَنْ شَكَرَ زَيْدَ لَهُ » .

وقال :

« حَقِيقَةُ السَّخَاءِ أَلَّا تَكُومَ الْبَخِيلَ فِي مَنْعِهِ إِيَّاكَ يَوْمًا ، لَأَنَّكَ إِنْ لُمْتَهُ وَاشْتَعَلَتْ بِهِ ، فَدَيْكَ لَوْ قَوَّعَ مَا مَنَعَكَ فِي قَلْبِكَ ، وَبِوَسَائِلِ ذَلِكَ عَيْنٌ لَمْ تَشْتَغَلْ بِلَوْمِهِ » . ثم أنشأ يقول :

كَرِيمٌ كَصَفْوِ الْمَاءِ لَيْسَ بِبَاطِلٍ بِسَيِّئٍ وَلَا مُهْدٍ مَلَامًا لِبَاطِلٍ

وأوصى رجلاً فقال له .

« لَا تَكُنْ خَصِمًا لِنَفْسِكَ عَلَى رَبِّكَ تَسْتَزِيدُ فِي رِزْقِكَ وَجَاهِكَ ، بَلْ كُنْ خَصِمًا لِرَبِّكَ عَلَى نَفْسِكَ فإنه لا يجتمع معها علي . . وَلَا تُلْقِيَنَّ أَحَدًا بِعَيْنِ الْاِزْدِرَاءِ وَالصَّغِيرِ - وَلَوْ مُشْرَكًا - خَوْفًا مِنْ عَاقِبَتَيْكُمَا ؛ فَعَلَّكَ تَسْلُبُ الْمَعْرِفَةَ وَيُرْزَقُهَا » .

وقال

« مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِمَا فِيهِ تَلَفَ نَفْسَهُ ؛ حَفَظَهَا عَلَيْهِ »

وقال :

« الصِّدْقُ سَيْفُ اللَّهِ ، مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قُطِعَهُ » .

وقال

« لَا تَشْغَلَنَّكَ عِيُوبُ النَّاسِ عَنْ عِيُوبِ نَفْسِكَ فَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِرَقِيبٍ » .

وقال

« الحَسَدُ دَاءٌ لَا يَبْرَأُ ، وَحَسَبُ الْحَسَدِ مِنَ الشَّرِّ مَا يُلْقَاهُ »

وقال :

« مَنْ قَنَعَ اسْتِرَاحَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَاسْتَطَالَ عَلَى أَقْرَانِهِ » .

وقال :

« يَأْتِي رِمَانٌ تَكُونُ الدَّوْلَةُ فِيهِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِ الْآخِرَةِ » .

وقال

« الْعَاوِلُ يَعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ وَيَجُودُ بِمَا لَدَيْهِ ، وَيَزْهَدُ فِيمَا عِنْدَهُ ، وَيَكْفُ

أَذَاهُ ، وَيَتَحَمَّلُ أَذَى غَيْرِهِ » .

وقال :

« الْكَيْسُ مَنْ بَانَزَ بِعَمَلِهِ ، وَسَوَّفَ بِأَمَلِهِ ، وَاسْتَعَدَّ لِأَجَلِهِ » .

وقال :

« كَيْفَ أَفْرَحَ بِعَمَلِي ، وَذُنُوبِي مَزْدَحِمَةٌ ؟ ! .. أَمْ كَيْفَ أَفْرَحَ بِعَمَلِي ،

وَعَاقِبَتِي مَبْهَمَةٌ ١٩ » .

وقال :

« الْعِزُّ الَّذِي لَا دَلَّ فِيهِ ، سَكُونُكَ عَنِ السَّقْيَةِ .. عَطِبُ اسْقِيهِ بِيَدِهِ

وَفِيهِ »

وقال في ختام كلامه يوماً :

« وَلِمَ لَا تَذُوبُ أَبْدَانُ الْعُمَّالِ وَتَذْهَلُ عَقُولُهُمْ ، وَلَعَرُضُ عَلَى اللَّهِ
إِمَامُهُمْ ، وَقِرَاءَةُ كِتَابِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ وَقُوفُ بَيْنِ يَدَيِ الْجِبَّارِ
يَنْظُرُونَ أَمْرَهُ فِي الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ ؟ » ..
ثم قال :

« مَثَلُوا هَذَا فِي نَفُوسِهِمْ ، وَجَعَلُوهُ نُصْبًا أَعْيُنُهُمْ »
وقال :

« قُلُوبٌ هِيَ أَهْوَى سَجُورِ الْبِلَاءِ .. فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعْذِّبَ الْبِلَاءَ
حَبْسَهُ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْهَوَى ، فَيَصِيحُ إِلَى اللَّهِ بِالْإِسْتِغَاثَةِ وَالْخُرُوجِ مِنْ
قُلُوبِ أَهْلِ الْهَوَى »
وقال :

« طُوبَى لِمَنْ تَطَهَّرَ وَلَزِمَ الْبَابَ .. طُوبَى لِمَنْ تَضَمَّرَ لِلْسَبَاقِ .. طُوبَى
لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ »
وقال :

« حَقُّ الْجَبِيسِ أَنْ تُسَرَّهُ ، فَإِنْ لَمْ تُسَرَّهُ فَلَا نَسْؤُهُ ، بَلْ يَكْسِبُ مُحِبُّهُ
النَّاسَ فِي هَذَا لَزْمَانٍ إِلَّا رَجُلٌ خَفَّفَ الْمِثْلُونَ عَنْهُمْ ، وَأَحْسَنَ الْقَوْلَ فِيهِمْ
وَأَطَابَ الْعِشْرَةَ مَعَهُمْ »
وقال له رجل : أوصني ..
وقال :

« بَلِّغْ أَوْصِيكَ ؟ .. إِنْ كُنْتَ مِنْ قَدِيدٍ مِنْهُ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ بِصَدَقِ
اِسْتَوْحِدْ ، فَقَدْ سَبَقَ لَكَ - مَنْ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا - دَعَاءُ الْعَبِيدِ
وَالْمُرْسَلِينَ وَالصَّادِقِينَ ، وَدَلَّكَ خَيْرُكَ مِنْ وَصِيَّتِي لَكَ ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ
ذَلِكَ فَلَنْ يَنْفَعَكَ اِسْتِغَاثَةُ » .

وعن أحمد بن الحسن الزاهد، قال .
كان مكتوباً على عكاز ذي النون :

« لا يومك يتسأك .. ولا رزقك يعثوك .. ومن يرغبُ إلى الناس يكنُ
للناس كالمملوك » .

وقال ذو النون :

« إذا أطلع الخبير على الضمير ، فلم يجد في الضمير غير الخير :
جعل فيه سراجاً هنيئاً »
وقال :

« من المحال أن يحسنَ الطَّنُّ ولا يحسنَ منه المرءُ »
وقال :

« كيف أفرح بعمى ، وذنوبي مزدحمة ؟! .. أم كيف أفرح بعمى ،
وعاقبتى مبهمة ؟! »
وقال :

« ما أخاف عليكم منَعُ الإجابة ، إنما أخاف عليكم منَعُ ادعاء » .
وسأله رجل فقال :

« رحمك الله . ما الذي أنصَبَ العدد وأضناهم ؟ »
فقال

« ذكرُ المقام ، وقلةُ الزاد ، وخوفُ الحساب » .
وقال أبو عصمة

كنت عند ذي النون ، وبين يديه فتى حسن يُمنى عليه شيئاً ، قال :
فمرت امرأة ذات جمال وحلّق ، قال : فحمل لفتى يسرق لنظر
إليها . قال : ففطن ذو النون فتوى عور الفتى ، وأنشأ يقول

دَعِ الْمَصُوعَّاتِ مِنْ مَّاءٍ وَطِينٍ وَاشْغُلْ هَوَاتِ بِحُورٍ عَنِّ

رَفِئ

« مَنْ وَجَدَ خَمْسَ خَصَالٍ: رَجَوْتُ بِهِ السَّعَادَةَ، وَلَوْ قَبِلَ مَوْتَهُ بِسَاعَةٍ،
اسْتَوَاءَ الْخَلْقِ، وَخَفِيَ الرُّوحُ، وَغَزَاهُ الْعَقْلُ، وَصَفَاءُ التَّوْحِيدِ، وَطَيْبُ
الْمَوْلِدِ » .

وَمَالِ دَوِّ السُّورِ

« إِنْ لِلَّهِ خَالِصَةٌ مِنْ عِبَادِهِ، وَتُحْصَاءُ مِنْ حَلْفِهِ، وَصَفْوَةٌ مِنْ بَرِيَّتِهِ،
صَحَبُوا الدُّنْيَا بِبِدَائِهِمْ، وَأَرْوَاحُهُمْ فِي الْمَكُوتِ مَعْلُوقَةٌ، « وَلَيْتَكَ تُحِبَّاءُ
اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَمْنَاءُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، وَابْتِدَاعَةٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَالْوَسِيلَةُ
إِلَى دِينِهِ.

هِيَئَاتِ .. بَعْدُوا، وَفَاتُوا، وَوَارَتْهُمْ بَطُونُ الْأَرْضِ وَقَجَاجُهَا، عَلَى
أَنَّهُ لَا تَحِلُّو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ فِيهِ بِحُجَّتِهِ عَلَى خَلْقِهِ: بَلَاءٌ تَبْطُنُ حُجُجُ
اللَّهِ »

ثُمَّ قُلْ

« وَأَيْنَ ؟ .. أَوَلَيْتَ قَوْمَ حُجْبَتِهِمُ اللَّهُ عَنْ عَيُونِ خَلْقِهِ، وَاحْفَاهُمْ عَنْ
أَفْئَاتِ الدُّنْيَا وَفَتْنَتِهَا، إِلَّا وَهُمْ الَّذِينَ قَطَعُوا أَوْدِيَةَ الشُّكُوتِ بِأَسْقِنِ،
وَاسْتَعَانُوا عَلَى أَعْمَالِ الْفَرَائِصِ بِالْعَمِ، وَهَرَبُوا مِنْ وَحْشَةِ الْغَفْلَةِ،
وَنَسْرَتُوا بِالْعِلْمِ لِإِنْقَاءِ الْجَهَالَةِ، وَاحْتَجَزُوا عَنْ الْعَفْلَةِ بِخَوْفِ الْوَعِيدِ،
وَجَدُّوا فِي صَدَقِ الْأَعْمَالِ لِإِدْرَاكِ الْقُوَّةِ، وَخَلُّوا مِنْ مَطَامِعِ الْكَذِبِ
وَمَعَانِقَةِ الْهَوَى، وَقَطَعُوا عُرَى الْإِرْتِيَابِ بِرُوحِ الْيَقِينِ، وَجَاوَرُوا ظُلْمَ
الدُّجَى، وَنَحَضُوا حُجُجَ الْمُبْتَدِعِينَ بِاتِّبَاعِ السُّنَنِ، وَبَادَرُوا إِلَى الْإِنْتِقَالِ

عن المكروه قبح هوات الإمكـال ، وسارعوا في الإحسان نعويضاً عن
الإساءة ، ولاقُوا النعم بالشكر ، استجلاباً لمزيدة ، وجعلوه نُصَب
أعينهم عند خواطر الهمِّ وحركات الحوارح ، من زينة الدنيا وغرورها ،
فزهـدوا فيها عيانياً ، وأكلوا منها قصداً ، وقدموا هضداً وأحرزوا ذحراً ،
وتزوّدوا منها بالتقوى ، وشمروا في طلب النعيم بالسـير الحثيث ،
والأعمال الزكية ، وهم يظنون .. بل لا يشكّون أنهم مقصّرون ، وذلك
أنهم عقلوا فعرفوا ، ثم انقّوا ، وتفكّروا فاعنبروا ؛ حتى انصروا ،
فامسكوا ألسنتهم عن الكلام من غير عيٍّ خوفاً من انزئـل فيسقطوا من
عين الله ، فامسكوا مع عقول صحيحة ، وبقين ثابت ، وقلوب شاكـرة ،
وألسن ذاكـرة . وأبدان صابرة ، وجوارح مطيعة .

أهل صدق ونصح ، وسلامة وصر ، وتوكل ورضاً وإيمان .

عقلوا عن الله أمره ، فشغلوا الجوارح فيما أمروا به من طاعة وذكر
وحياء وقطعوا الدنيا بالصبر على لـزوم الحق ، وهـدرو الهوى بدلالات
العقول ، وتمسكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن ، ولهم في كل إشارة
منها دمة ولذة ، وفكرة وعبرة ، ولهم مقام على المزيد للزيادة ، قرحة
الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين »

قال : وسمعت ذا النون يقول

« إني أن تكون في المعرفة مدّعياً ، وتكون بالزهد محترفاً . وتكون
بالعبادة معلقاً » .

فقل له : يرحمك الله ، فسّر لنا ذلك .

فقد .

« أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء وانت مُعْرِى
من حقائقها كذب مدّعباً ، وإذا كنت في الرهد موصوفاً بحالة وبك دور
الأحوال كنت محترفاً ، وإذا علّقت بالعبادة قلبك وطننت أنك تنجو من
الله بالعبادة ، لا بالله ، كنت بالعبادة متعلقاً لا بولبها والمثّن عليك »
وعن الثمشاطي ، قل : سمعت ذا النون يقول .

« اوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - :

يا موسى ، كن كالطير الوجداني يأكل من رءوس الأشجار ، وشرب
من الماء الفراح ، إذا جئته الليل أوى إلى كهف من الكهوف ، استئناساً
بى ، وستيحاشاً ممن عصانى .

يا موسى ، لا قطعن أمر كل موئل يؤمل في غيرى ، ولا قصمن ظهر
من يسند إلى سوى ، ولا طيلن وحشة من اسناس بغيرى ، ولأعرضن
عمر أحب حبيباً سوى .

يا موسى إن لى عباداً إن نجونى أصغيت إليهم ، وإن نادونى
أقبلت عليهم ، وإن أقبلوا على أدنيتهم ، وإن دنوا منى قربتهم ، وإن
تقربوا منى اكتنفتهم ، وإن والونى واليتهم ، وإن صافونى صافيتهم ،
وإن عملوا لى جازيتهم .

هم فى حماى ، وبى بفتخرون ، وأنا مدبرٌ أمورهم ، وأنا سائس
قلوبهم ، وأنا متولٌ أحوالهم ، لم أجعل فى قلوبهم راحة فى شىء إلا فى
ذكرى ، فذكرى لأسقامهم شفاء ، وعلى قلوبهم ضياء ، لا يسانسون
إلا بى ، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندى ، ولا يستقر قرارهم فى
لايواء إلا إلى . »

ثم قال ذو النون :

« هُمْ - يا أخى - قوم قد ذُوبَ الحزن أكبادهم ، وأثقلَ الخوفُ
جسامهم . وعير السهرُ ألوائهم ، وأقلقَ خوفُ البعثِ قلوبهم .. قد
سكنتُ أسرارهم إليه ، وتذلتُ قلوبهم عليه ، فنفوسهم عن اطاعة لا
تُسَلُّو ، وهوبهم عن ذكره لا تحلُّو ، وأسرارهم فى المكوت تعلو .

اخشوع يخشع لهم إذا سكنوا ، وادموع تخبر عن خفى حرقنهم
إذا كمدوا ، قد نسوا مرح الشهوات بحلاوة المناجاة ، فلبس الغفلة
عليهم مدخرٌ ، ولا للهو فيهم مطمعٌ ، قد حجب النوفيق بينهم وبين
الآفات ، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات ، فب طوبى للعارفين ،
ما اغنى عيشهم ، وما الذ شربهم ، وما أجل حبيبهم »

وقال ذو النون :

« إن لله خالصة من عباده ، ونجباء من خلقه ، وصفوة من بريته ،
صحابوا الدنيا بأبدانهم ، وأرواحهم فى المكوت معنقة . أولئك نجباء
الله من عباده ، وأمناء الله فى بلاده ، والدعاة إلى معرفته ، والوسيلة
إلى دينه .

هيهات . بعدوا وفاتوا ، ووارثهم بطون الأرض وفجاجها .. على
أنه لا تخلق لأرض من قائم فيها بحجته على خلقه ؛ لئلا تبطل حجج
الله . »

ثم قال

« وأين ؟! .. أولئك قوم حجبهم الله عن عيون خلقه ، وأخفاهم عن
آفات الدنيا وفتنها ، ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين ،
واستعانوا على أعمال الفرائض بالعلم ، وهربوا من وحشة الغفلة .

وتسربلوا بالعلم لأنقاء الجهالة، واحتجزوا عن العفلة بخوف الوعيد، وجدوا في صدق الأعمال لإدراك الفؤت، وخلوا عن مطامع الكذب ومعاقبة الهوى، وقطعوا عرى الارتياح بروح ايقير، وجاوزوا ظلم الدجى، ودحضوا حجج المبتدعين باتباع السنن، وبادروا إلى الانتقال عن المكروه قبل فؤت الإمكان، وسارعوا في الإحسان، نعويصاً عن الإساءة، ولأقوا النعم بالشكر؛ اسجلاً لمزيدة، وجعلوه نُصب أعينهم عند خواطر الهمم وحركات الجوارح من زينة الدنيا وغرورها، فزهدوا فيها عساناً، واكلوا منها قصداً، وقدموا فضلاً وأحرزوا ذخراً، ونزودوا منها بالتقوى، وشتمروا في طلب الانعيم بالسير الحثيث، والأعمال الزكية، وهم يظنون.. بل لا يشكُّون أنهم مقصرون، وذلك أنهم عقلوا فعرفوا، ثم انغفوا وتفكروا، فاعتبروا، حتى ابصروا، فأمسكوا السننهم عن الكلام من غير عى خوفاً من التزيُّن فيسقطوا من عين الله، فأمسكوا مع عقول صحيحة، ويقين ثابت، وقلوب شكرة، والسنن ذاكرة، وأبدان صابرة، وجوارح مطيعة

أهل صدق ونصح، وسلامة وصبر، وتوكل ورضاً وإيمان.

عقلوا عن الله امره فشعبوا الجوارح فيما أمروا به من طاعة وذكر وحياء، وقطعوا الدنيا بالصبر على بزوم الحق وهجروا الهوى بدلالات العقور، وتمسكوا بحكم النبريل وشرائع السنن، ولهم في كل إشارة منها دمة وبذة، وفكرة وعبرة، ولهم مقام على المزيد للزيادة، فرحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين .

وقل ذو النون :

« معاشره العارف كمعاشره الله: يحتملُ عنك، ويحلُمُ عليك، تحلُّفاً

بأحلاق الله الجميلة . »

وقال :

« أهل الذمّة يُحملون على الحال المحمودّة والمباح من افعـر ، فما الفرق بين الذمّي والحنيفي ؟. الحنيفي أولى بالحلم والبصّح والاحتمال » .

وعن غيلان المدكر ، قال :

« أخبرني ذو النون أن الناس على ثلاثة مقامات في الدنيا:

* قوم اشتغلوا بمعادهم عن معاشهم.

* وقوم اشتغلوا بمعاشهم ومعادهم.

* وقوم اشتغلوا بمعاشهم عن معادهم.

- فأما من اشتغل بمعاشه عن معاده فمقامه مقام الهالكين.

- وأما من اشتغل بهما فمقامه مقام المخلصين.

- وأما من اشتغل بمعاده عن معاشه فهو من العارفين » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال : سمعت ذا النون يقول :

« لله عباد تركوا الذنب استحياء من كرمه ، بعد أن تركوه خوفاً من

عقوبته ، ولو قال لك . اعمل ما شئت فليست آخذك بذنب . كان ينبغي أن

يزيدك كرمه استحياء منه ، وتركاً لمعصيته ، إن كنت حراً كريماً عبداً

شكوراً ، فكيف وقد حذرَكَ ؟ ! » .

وعن سليم بن موسى ، قال : قال ذو النون :

« إن حقوق الله أثقل من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من

أن يحصيها العدد ، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين »

وقال ذو النون :

« الدنيا دنيّة، وحبها خطيئة ، والدُّنُوُّ منها بليّة ..الدنيا يكفي صِفُها
مَنْ وَصَفَها ، وإِنما يَعتَبرُ بها مَنْ عَرَفَها .. مَنْ طَلَبَ الدنيا سَبَقَتْهُ ، وَمَنْ
هَرَبَ منها لَحَقَتْهُ ، وَمَنْ عَصَى الدنيا أَطَاعَتْهُ ، وَمَنْ أَطَاعَهَا عَصَتْهُ ..
الدنيا فاعلةٌ بك ما فعلتُ بأبيك ، وزائلةٌ عنك كما زالتُ عن أخيك »

وقال يوسف .

قست لذي النون في وقت مفارقتي له :

مَنْ أُجَالِسُ ؟

قل .

« عليك بصحبة مَنْ تُذَكِّرُ باللهِ رُؤيتُهُ .. وتقع هيبَتُهُ على باطنك ..
ويزيد في عملك منطقتَهُ . ويزهّدك في الدنيا عَمَلُهُ .. ولا يعصى الله
ما دمت في قُربِهِ . يَعِظُكَ بلسانِ فَعَلِهِ . ولا يَعِظُكَ بلسانِ قَوْلِهِ »

الحكيم

لقد تحدث القرآن الكريم عن الحكمة، وبين سبحانه أنه

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١)

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢)

ولقد أتى الله الحكمة داود عليه السلام:

﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٣)

وانى الله الحكمة آل إبراهيم . .

واتى الله سبحانه محمداً ﷺ الحكمة، وجعل شطر رسالته
تعليم الحكمة.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ﴾ (٤).

ولقد ذكر الله سبحانه مثله للحكمة، منها بعض ما أوحاه الله
إلى محمد ﷺ، وقال في نهايته.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ (٥)

(٣) سورة النقرة ٢٥١

(٥) سورة (السراء) ٣٩

(١، ٢) سورة النقرة : ٢٦٩

(٤) سورة آل عمران : ١٦٤

إنه سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ
الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْنِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ
كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا
تَبْذُرْ تَبَذُّرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا (٢٦) وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مُّسَوِّرًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
فَتَقْعَدَ مَطْرَئًا مَّحْشُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ
وَأَبَاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً
وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا
فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا
تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمُوزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ

مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴿١﴾

ومنها - كمثل - بعض ما آتاه لقمان قائلاً .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٢)

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣)

﴿ وَرَضِينَا لِلْإِنْسَانِ بِوَالِدَيْهِ حِمْلَهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٤)

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥)

(١) سورة الإسراء ٢٣ - ٣٩

(٢) سورة لقمان ٢

(٣) سورة أحمد ١٣

(٤) سورة لقمان ١٤

(٥) سورة حماد ١٥

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢)

﴿ وَلَا تُصْعِقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (٣)

وإنا إذا تروينا فيما ذكره الله سبحانه من الحكمة ؛ وجدنا أنها مبادئ في العقيدة أصغى ما تكون عقيدة، ومبادئ في الأخلاق أكرم ما تكون الأخلاق

تضمن الحكمة - إذن - الصدق عقيدة وأخلاقاً، وأن كل ما يساير الدين الصحيح في العقيدة والأخلاق هو من الحكمة .

وكلمة ستعرق الإنسان في الحق القرآني وهي اجر السوکی للرسول ﷺ ، ثم تحدث في العقائد وفي الأخلاق مستمد من القرآن والسنة ومترماً لأنورهما ، فإنه ينطق في إصار الحكمة .

والصوفية لما لهم من صحة طويلة للقرآن ، واقتداء مستمر برسول

(١) سورة بقره ١٦

(٢) سورة لقمان ١٧

(٣) سورة لقمان : ١٨ ، ١٩

سَمِعَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ الْقُرْآنِ وَهَدَى السَّيَّةَ ، فَإِنْ كَلِمَاتِهِمْ
تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ أَلْوَانِ الْحِكْمَةِ
وَيَذْكُرُ لَدَى النَّوْبِ مَا يَأْتِي
قَالَ ذُو النُّونِ : قَارِ الْحَسَنَ .

« مَا خَافَ عَلَيْكُمْ مَنَعُ الْإِجَابَةِ ، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَنَعُ الدَّعَاءِ »
وَقَالَ ذُو النُّونِ :

« لَيْسَ بِعَاقِبٍ مَنْ لَمْ يُنْصَفْ مِنْ نَفْسِهِ وَطَلَبَ الْإِنْصَافَ مِنَ النَّاسِ » .
وَقَالَ :

« كُلُّ مُطِيعٍ مُسَبِّحٍ ، وَكُلُّ عَاصٍ مُسْتَوْحِشٍ ، وَكُلُّ مُحِبٍّ ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ
خَائِفٍ هَارِبٌ ، وَكُلُّ رَاجٍ طَلِبٌ » .

وَسُئِلَ ذُو النُّونِ : مَا سَبَبُ الذَّنْبِ ؟
قَالَ :

« اعْقَلْ - وَيُحْك - مَا تَقُولُ ، فَإِنَّهَا مِنْ مَسَائِلِ الصَّدِيقِينَ .. سَبَبُ الذَّنْبِ
النَّظَرَةُ ، وَمِنْ النَّظَرَةِ الْخَطَرَةُ - فَبِإِنْ بَدَارَكَتِ الْخَطَرَةُ بِأَرْجُوعٍ إِلَى اللَّهِ ؛
ذَهَبَتْ - وَإِنْ لَمْ تَبْدَارَكَهَا امْتَرَجَتْ بِأَنُوسَاوَسٍ - فَنَتَوَلَّدَ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ..
وَكُلُّ ذَلِكَ - بَعْدَ ذَلِكَ - بَاطِنٌ لَمْ يَضْهَرْ عَلَى الْجَوَارِحِ .. فَإِنْ تَبَادَرَكَتِ
الشَّهْوَةُ ؛ وَإِلَّا تَوَلَّدَ مِنْهَا الطَّلَبُ - فَإِنْ تَبَادَرَكَتِ الطَّلَبُ ؛ وَإِلَّا تَوَلَّدَ مِنْهُ
الْفِعْلُ » .

وَقَالَ :

« مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الدُّنْيَا كُلَّهَا لَمْ يَكُنْ لِلدُّنْيَا عِنْدَهُ قَدْرٌ » .
وَقَالَ :

« لَمْ يَزَلِ الْمَسَافِقُونَ يَسْحَرُونَ بِالْفُقَرَاءِ فِي كُلِّ عَصْرِ »

وقال سعيد بن الحكم :
سئل ذو النون . مَنْ أَدومُ الناسُ عناءً ؟
قال :

« أَسْوَأُهُمْ خُلُقًا »
قيل : وما علامة سوء الخُلُق ؟
قال :

« كثرة الخلاف »
قال : وسمعت ذا النون يقول :
سئل جعفر بن محمد عن السفلة ، فقال :
« مَنْ لَا يَبَالِي مَا قَالَ وَلَا مَا قِيلَ فِيهِ » .
وقد يوسوس بن الحسير سمعت ذا النون يقول
« مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِهِ كَانَتْ حَسَنَاتِهِ سَيِّئَاتٍ » .
قال : وسمعت ذا النون يقول :

« أَدْنَى مَنَازِلِ الْأَسَى أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ فَلَا يَعِيبُ هَمُّهُ عَنْ مَآمُونِهِ »
وقال نصر بن أبي نصر : قال ذو النون :
« الْخَوْفُ رَقِيبُ الْعَمَلِ ، وَالرَّحَاءُ شَفِيعُ الْمُحَنِ »
وسئل ذو النون : مَا أَخْفَى الْحَبَابَ وَأَشَدُّهُ ؟
قال :

« رُؤْيَا النَّفْسِ وَتَدْبِيرُهَا » .
وقال إسحاق بن إبراهيم الخوَّاص سمعت ذا النون يقول :

« مَنْ أدركَ طريقَ الآخرة : فيكثرُ مساءلةَ الحكماء ومشاورتهم ..
وليكنْ أولُ شيءٍ يسألُ عنه : العقل . لأن جميع الأشياء لا تُدرك إلا
بالعقل .. ومتى أردتَ الخدمة لله فاعقلِ لم تخدم ؟ ثم اخدم »
وقال ذو النون :

« حرمَ الله الزيادة في الذوق ، والإلهام في القلب ، والفراسة في
الخلق ، على ثلاثه نفر . على بخيل بدنياء ، سخيٍّ بدينه ، سيئِ الخلق مع
الله » .

فقال له رجل : صفْ لى سيئَ الخلق مع الله .
فقال :

« يقضى الله تعالى قضاءً ، ويمضي قدرًا ، وينفذ علمًا ، ويختار لعبده
أمرًا ، فترى صاحب سوء الخلق مع الله مضطرب القلب في ذلك كله ،
غير راضٍ به ، وإنم شكواه من الله إلى خلقه . فما ظلك ؟ » .
وقال ذو النون .

« مفتاحُ العبدية الفكرة ، وعلامةُ الهوى متابعة الشهوات ، وعلامةُ
النوكس انقطاع المطامع » .

وقيل لذي النون : متى يأنس العبد بربه ؟
قال :

« إذا حافه أنس به ، وإنم علمتم أنه مَنْ وأصلُ اذنبوب نُحْي عن باب
المحبوب » .

وقال

« من غمى عن عيوب نفسه : انكشفت له عيوبُ الناس ؛ فَمَقْتَنَةُ
القلوب » .

وقال :

« ما أعزَّ الله عبداً يعرِّهُ هو أعزُّ به من أن يديه عى دَلَّ نفسه، وما أذلَّ الله عبداً بذلُّ هو ذلُّ له من أن بحجبه عن ذلِّ نفسه »
وقال

« ليس بعاقِل مَنْ تعلَّم العلمَ فعرف به ، ثم أثر - بعد ذلك - هواه على عمله .. وليس بعاقِل مَنْ طلب الإنصافَ من غيره لنفسه ، ولم ينصفَ من نفسه غيره .. وليس بعاصٍ مَنْ نسي الله في طاعته ، وذكر الله تعالى في مواضع الحاجة إليه »
وقال :

« مَنْ وثق بالمقادير استراح ، وَمَنْ تعرب قُرب ، وَمَنْ صفا صفى به » .
وعن يوسف بن الحسين ، قال :
سمعت ذا النون يقول :

« أنت ملكٌ مقتدر ، وأنا عبدٌ مفتقر .. أسالك العفو قديلاً ، فأعطنيهِ تفضلاً » .

وقال ذو النون :

« كيف أفرح بعملى ، وذنوبى مزدحمة ؟ » . م كيف أفرح بأملى ، وعاقبتى مبهمة ؟ ! »
وقال :

« قد غفلت القلوبُ عنه وهو مُستبها ، وأدبرت النفوسُ عنه وهو يناديها : سبحانه . ما أمهله للابام مع نواير الآلاء والإععام ! »
وقال :

« طُوبى لعبد أنصف ربه ، أقرَّ له بالافات فى طاعنه ، وبالجهل فى معصيته فإن خذه بالذنوب رأى عدله ، وإن عفر رأى فضله » .

وعن محمد بن أحمد بن سمة النيسابوري ، قال .

سمعت ذا النون يقول :

« يا حراساني ، احذروا ان ينقطع عنه فتكون محدوعاً »
قلت : وكيف ذلك ؟

قال :

« لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه ، فينقطع عن انظر إليه بالانظر
إلى عطاياه » .

ثم قال :

« نعلق اناساً بالأسباب ، وتعلق الصديقون بولي الأسباب » .

ثم قال

« علامة نعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطيا ، ومن علامته
تعلق قلب الصديق بولي اعطايا . انصباب اعطايا عليه وشغفه عنها
به »

ثم قال

« ليكن اعتمادك على الله في الحال ، لا على الحال مع الله » .

ثم قال :

« اعمل ، فإن هذا من صفوة النوحيد » .

وقال :

« من أعلام الإيمان : اغتمام القلب بمصائب المسلمين ، وإرشادهم إلى
ما فيه مصالحهم وإن كرهوه » .

وكان يقول :

« إن الله - يعاى - نطق البسار بالبيان ، وافتحه بالكلام ، وجعل

القلوب أوعية للعلم .. ولولا ذلك كان الإنسان بمنزلة البهيمة : يوميئ
بأرأس ويشير باليد » .

وقال :

« مَنْ رَاقِبَ الْعَوَاقِبَ سَلِمَ »

وقال

« مَنْ عَلِمَهُ سَخَطُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ خَوْفُهُ مِنَ الْفَقْرِ » .

وقال :

« مَنْ نَظَرَ فِي عَيُوبِ النَّاسِ عَمِيَ عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِ »

وقال

« صُدُورُ الْأَحْرَارِ قُبُورُ الْأَسْرَارِ » .

وقال

« إِنَّمَا أَحَبُّ النَّاسِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا حَزَانَةً أَرْزَاقَهُمْ : فَمَدُّوا
أَعْيُنَهُمْ إِلَيْهَا » .

وسئل ذو النور : ما الذي أَنْصَبَ الْعِبَادَ وَأَصْنَاهُمْ ؟

قال .

« ذِكْرُ الْمَقَامِ ، وَقِلَّةُ الزَّادِ ، وَخَوْفُ الْحِسَابِ » .

وقال

« الْمَصْنُوعُ يُبْدِي غَيْرَ الَّذِي هُوَ بِهِ .. وَالصَّادِقُ لَا يَبْأَسِي عَلَى أَيِّ

جَنْبٍ وَقَعَ » .

وقال :

« مَا هَلَكَ مِنْ هَلَكٍ إِلَّا بِطَلَبِ أَمْرٍ قَدْ أَخْفَاهُ أَوْ إِنْكَارِ أَمْرٍ قَدْ أَبْدَاهُ » .

وقال :

« الْأُنْسُ بِاللَّهِ نُورٌ سَاطِعٌ ، وَالْأُنْسُ بِبَنَاسٍ غَمٌّ وَاقِعٌ » .

مقيل له : ما الأنس بالله ؟

قال :

« العلم والقرآن »

وكان رضي الله عنه يقول :

« إن الله - تعالى - لم يمنع أعداءه الجنة بخلًا .. وإنما صان أوليائه
الذين أطعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه »
وقال :

« مفتاح العبادَةِ العِكرَةُ ، وعلامة الإِصَابَةِ مخالِفَةُ النفسِ وَانْهَوَى »
وكان رضي الله عنه يقول :

« تواضع لجميع خلق الله تعالى .. وإيَّاكَ أن تتواضع لمن يسألك
أن تتواضع به : فإن سؤاله إيَّاكَ يدل على تَكَبُّره في الباطن ..
وتواضعك له يكون له عونًا على التَّكَبُّرِ » .
وقال :

« لا تتواضع لتكبر ، فتذل نفسك في غير محلٍّ ، وتُكَبِّرَ نفسه بغير
حق » .

وقال :

« إنما يُختَبَرُ ذو البأس عند النِّقَاءِ ، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء ،
وذو الأمل والوعد عند الفَاقَةِ وابِلَاءِ ، والإخوان عند نَوَائِبِ القَضَاءِ » .
وقال :

« لم يكسبُ محبةَ الناسِ - في هذا الزمانِ - إلا رَجُلٌ خَفَّفَ المِثْلَنةَ
عليهم ، وأحسنَ القولَ فيهم ، وأطابَ العِشرةَ معهم » .

وقال :

« مِنْ عِلَامَةِ سَخَطِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَخَافَ الْفَقْرَ » .

ومن حكمه

لَيْسَتْ بِالْفَقْرِ تَوْبُ الْعَبْدِ فَصِرْتُ أَمْشِي شَامِخَ الرَّأْسِ

وقال .

« لَا تَسْكُنِ الْحِكْمَةُ مَعْدَةً مَلَأَتْ بِالطَّعَامِ »

وقال :

« الْكَرِيمُ يُعْطَى قَبْلَ لِسْوَالٍ فَكَيْفَ يَبْخُلُ بَعْدَهُ ، وَيَعْذُرُ قَبْلَ الْإِعْتِذَارِ

فَكَيْفَ لَا يَعْذِرُ بَعْدَهُ ؟ »

وقال :

« مَنْ الْمَحَالِ أَنْ يَحْسُرَ الطَّنُّ وَلَا يَحْسُرَ مِنْهُ الْمَنُّ »

وقال :

« مِنَ الْقُلُوبِ قُلُوبٌ تَسْتَغْفِرُ قَبْلَ أَنْ تُذْنِبَ ؛ فَيُتَابُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ

تُتُوبَ » .

وقال :

« سِنَاتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الدَّوْلَةُ فِيهِ لِلْحَمْقَى عَلَى الْأَكْيَاسِ » .

قال أبو نعيم :

وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَيَّى عَلَى اللَّهِ - نَعَانِي - لِأَمَانِي ،

وَالْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ

وقال :

« إِذَا صَحَّ الْبَقِيَّةُ فِي الْقَلْبِ صَحَّ الْخَوْفُ فِيهِ »

وقال :

« أَكْثَرُ النَّاسِ إِشَارَةٌ إِلَى اللَّهِ فِي الظَّاهِرِ . أَبْعَدُهُمْ مِنْ اللَّهِ .. وَأَرْغَبُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَأَخْفَاهُمْ لَهَا طَلِبًا أَكْثَرُهُمْ دَمًا لَهَا عِنْدَ طَلَابِهَا » .
وقال ،

« الْاسْتِنْسَانُ بِالنَّاسِ مِنْ عِلَامَةِ الْإِفْلَاسِ »

وقال :

« مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ وَجَدَ طَعْمَ الْعِبَادِيَّةِ وَلَذَّةَ لَذِكْرِ وَالطَّاعَةِ ، فَهُوَ بَيْنَ الْخَلْقِ بِبَدَنِهِ ، وَقَدْ نَاءَ عَنْهُمْ بِأَهْمُومِ وَالْخَطَرَاتِ »
، وسأل رجل ذا النون : مَنْ أَصْحَابُ مَنْ النَّاسِ ؟
قال .

« مَنْ سَقَطَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ صُورَةُ التَّحْقُّظِ ، وَمَنْ إِذَا أَذْنَبَ تَابَ ، وَإِذَا مَرَضْتَ عَادَكَ ، وَمَنْ يَعْلَمُ مِنْكَ بَعْضَ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ مِنْكَ ، فَتَأْمَنَهُ عَلَى ذَلِكَ وَيَسْتَرَهُ عَلَيْكَ » .

وسئل يوماً : فِيمَ يَجِدُ الْعَبْدُ الْخُلَاصَ ؟

قال :

« الْخُلَاصُ فِي الْإِخْلَاصِ ، فَإِذَا أَخْلَصَ تَخَلَّصَ » .

ف قيل : فما علامة الإخلاص ؟

قال .

« إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي عَمَلِكَ صَحْبَةٌ الْمُخْلُوفِينَ ، وَلَا مَحَافَةٌ دُمُهُمْ ؛ فَانْتَ مُخْلِصٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

وقال ذو النون :

« إن سكتَ عِلْمٌ ما تريد، وإن نطقتَ لم تزل بنطقك ما لا يُريد، وعِلْمُهُ
بمرادك ينبغي أن يغنيك عن مسألته ، أو منحك عن مطالعته » .

وقال :

« إن الطبيعة النقية هي التي تكفيها من العظة رُحَّتْها ومن الحكمة
إشارة إليها » .

وقال :

« أكثر الناس همًّا أسوأهم خلقاً » .

وسئل ذو النون : مَنْ أَدْرَمُ الناسَ عِواءً ؟

قال :

« أسوأهم خلقاً » .

قيل : وما علامة سوء الخلق ؟

قال :

« كثرة الخلاف » .

وقال ذو النون :

« دارت رَحَى الإرادة على ثلاث :

على الثقة بوعْد الله ، وارضاً ، ودوام قُرْع باب الله » .

وقال :

« حَقُّ الجليس أن تسرَّه ، فإن لم تسرَّه فلا تسوِّد »

وقال .

« بصحبة الصالحين تطيبُ الحياة .. والخير مجموع في القرين
الصالح . إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانت »
وكان يقول :

« كما إذا سمعنا شاباً يتكلم بالمجلس أيسنا من حيره » .
وقال :

« أعلم أن أعمال الجوارح يصدقها عقد ضمائر القلوب ..
وقد قال رسول الله ﷺ :

« في ابن آدم مضغة إن صلحت صلح سائر الجسد وهي القلب »
وقال ﷺ :

« لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى
يستقيم قلبه »

وقال ذو النور . سمعت عابداً يقول .

« إن لله عبداً أبصروا فنظروا ، فلما نظروا عَقَلُوا ، فلما عَقَلُوا عِلِمُوا ،
فلما عِلِمُوا عَمِلُوا ، فلما عَمِلُوا انْتَفَعُوا ، رَفَعَ الْحِجَابَ فَمَا بَدَاهُمْ وَبَنَاهُ ،
فَنَظَرُوا بِأَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ إِلَى مَا نَخَرُ لَهُمْ مِنْ خَفَىٰ مُحْجُوبِ الْغُيُوبِ .
فَقَطَعُوا كُلَّ مُحْجُوبٍ ، وَكَانَ هُوَ الْمُنَى وَالْمَطْلُوبُ »

وقيل لنبي النور .

« ما علامة الأنس بالله ؟

فـ

« إذا رايت أنه يُوحِشُكَ مِنْ خُلُقِهِ فَإِنَّهُ يُؤْتِسِكُ بِنَفْسِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَنَّهُ
يُؤْتِسِكُ بِخُلُقِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُوحِشُكَ مِنْ نَفْسِهِ »

ثم قال :

« الدنيا لله أمة ، والخلق لله عبيد : خَلَقَهُم لِلطَّاعَةِ ، وَضَمِنَ لَهُم
أَرْزَاقَهُمْ ، فَحَرَصُوا عَلَى أَمَتِهِ وَقَدَّحُوا عَنْهُمْ ، وَطَلَبُوا الْأَرْزَاقَ وَقَدَّ
ضَمِنَهَا لَهُمْ ، فَلَا هُمْ عَلَى أَمَتِهِ قَدَرُوا ، وَلَا هُمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ اسْتَزَادُوا » .
وقال ذو النون :

« الْمُسْتَأْنَسُ بِاللَّهِ فِي وَقْتِ اسْتِئْثِنَاسِهِ : يَسْتَأْنَسُ بِجَمِيعِ مَا يَرَى
وَيَسْمَعُ وَيَحْسُ بِهِ فِي مَلَكُوتِ رَبِّهِ ، وَالْهَائِبُ لَهُ : يَهَابُ جَمِيعَ مَا يَرَى
وَيَسْمَعُ وَيَحْسُ بِهِ فِي مَلَكُوتِ رَبِّهِ . وَيَسْتَأْنَسُ بِالذَّرِّ فَمَا دُونَهُ
وِيَهَابِهِ » .

وقال :

« مَنْ أُنْسَهُ اللَّهُ بِقُرْبِهِ أَعْطَاهُ الْعِلْمَ بِغَيْرِ تَعَبٍ » .
وعن أبي عثمان سعيد بن الحكم السلمي ، قال :
سمعت ذا النون يقول :

« مَنْ رَسَخَتْ غَضَبَةُ اللَّهِ فِي صَدْرِهِ وَجَدَ لِعِبَادَتِهِ طَعْمًا حَلْوًا » .
وقال :

« مِنْ دَلَائِلِ أَهْلِ الْمَحَبَةِ بِاللَّهِ أَلَّا يَنْسُوا بِسُوءِ اللَّهِ ، وَلَا يَسْتَوْحِشُوا
مَعَ اللَّهِ : لِأَنَّهُ حَبِيبُ اللَّهِ مَنْ أُنْسَ بِاللَّهِ : لِأَنَّهُ أَجَلٌ فِي صَدُورِهِمْ أَنْ
يَحْبُوهُ لَغِيرِهِ » (١) .

قال : وسئل ذو النون : ما فساد القلب ؟
قال :

« فساد القلب فساد النية : إِذَا قَسَدَتِ النِّيَّةُ وَقَعَتِ الْبَلِيَّةُ » .

(١) أخرجه السيوطي .

وقال ذو النون :

« إذا لم يكن في عملك حبُّ ثناء المخلوقين ولا مخافةُ ذمِّهم ؛ فأنت حكيمٌ مُخلص إن شاء الله » (١) .

وقال :

« مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ اسْتَقْلَ كُلَّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ » .

وقال :

« مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَمِ سَلَبَهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ » .
وقبل له : مَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْكُفْرِ ؟

قال :

« ذُو فَاقَةٍ » .

وقل :

« مَا خَلَعَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ خُلْعَةً أَحْسَنَ مِنْ لِعْقَلٍ ، وَلَا قُلْدَةٍ أَجْمَلَ مِنَ الْعِلْمِ ، وَلَا رِيَّةٍ بِزِينَةٍ أَفْضَلَ مِنَ الْحِلْمِ ، وَكَمَالُ ذَلِكَ التَّقْوَى » .

وقال راحل لذي النون : متى أزهد في الدنيا ؟

قال :

« إِذَا زَهَدْتَ فِي نَفْسِكَ » .

وعن يوسف بن الحسين قال :

دخل ذو النون على مريض يعودُه فرآه يئنُّ ، فقال

(١) أخرجه أبو يعيم

« ليس بصادق في دعواه من لم يصبر على ضره »
فأجاب المريض :

- ليس بصادق في حبه من لم يتلدذ بضره .
فقال ذو النون :

« ولا صدق في حبه من رأى حبه لربه » .
وعن يوسف بن الحسين ، قال :
قلت لذي النون : متى أخالط الناس ؟
قال :

« إذا نمحي حُب الدنيا من قلبك » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال : سمعت ذا النون يقول :
كتب إلى بعض إخوتي وقد اعتس : ادع الله بي
فكتبت إليه :

« سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النقم ، وأعلم يا أخي أن
العلّة منزلة يأنس إليها أهل الصفا والهمم ، ومن لم يعدّ البلاء نعمة
فليس من الحكمة في شيء ! فاستج من الله أن تشكوه .. والسلام » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« إخراج الموجود حسن فطن بالمعبود » .

قال : وسئل ذو النون عن اسم الله الأعظم ، فقال :
- هو ذا ، أنا أقرأه عليكم فتعلموا .. فقرأ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴿١﴾

وَقُرْ

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٢)

ثم قال

« إذا قرأت بهذا على ما تحب يَفْقَسُ لك » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« إذا سألني السائل ، وكان مُسْتَحِقًّا لجواب : استفتتُ نصف الجواب من مسألته » .

وعن أبي عثمان سعيد بن الحكم ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« ما طأبت الدنيا إلا بذكره ، ولا طأبت الآخرة إلا بعفوه ، ولا طأبت الجنان إلا برؤيته » .

وعن محمد بن أحمد بن عبد الله ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« طُوبَى لمن كان شعار قلبه الورع ، ولم يُعمِ بصر قلبه الطمع .
وكان محاسباً لنفسه فيما صنع » .

وقال :

« لا عيش إلا مع رجال تحنُّ قلوبهم إلى التقوى ، وترتاحُ إلى الذكر » .

ودقَّ عليه رجلُ الباب مشوش وقته ، فطر إليه من عالم الهيثة . .

وقال :

« اللهمَّ مَنْ شَغَلَنِي عَنْكَ فاشغله بك » .

وعن عبد الله بن سهل ، قال :

سألت ذا النون فقلت :

- متى أعرف ربي ؟

قال ،

« إذا كان لك جليسا ، ولم تَرَ لنفسك سِوَاهُ أَنْيْساً »

قلت : فمتى أحبُّ ربِّي ؟

قال ،

« إذا كان ما أسْخَطُهُ عِنْدَكَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ » .

قلت : فمتى أشتاق إلى ربِّي ؟

قال

« إذا جعلت الآخرة لك قَرَارًا ، ولم تُسَمِّ الدُّنْيَا لك مَسْكَنًا وِدَارًا » اهـ .

* * *

متنثرات وطرائف

هذه المتنثرات تجمع بعض الأمور المهمة مثل « ثلاثيات ذى النون » ولقد عنيَ ذو النون بالثلاثيات التي توصلح أمراً من الأمور وتجمع في كلمات قليلة زوايا من موضوع عام .

وقد جمعتها . في هذه المتنثرات . بعض ردوده على السؤال التقليدي . كيف حالك ؟ . أو كيف أصبح ؟ . . . وهي ردود طريفة ثم يلتزم فيها ذو النون الرد التقليدي . وجمعت . أيضاً . في هذه المتنثرات . بعض ما هو طريف من مفردات ذى النون .

كان ذو النون يقول في قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (١) . « كأنه الآن في أذنى » .

وسئل عن السماع والصوت الحسن ، فقال : « وارد يزعج القلب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، أو بنفسه قرئذق »

وسئل عن سماع العظة الحسنة بالنعمة الطيبة ، فقال « مزامير أنس في مقاصير قُوس ، بالجان نوحيد في رياض تمجيد ، مطربات الغواني في تلك المعانى .. المؤدية بأهلها إلى انعيم الدائم في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر » .

(١) سورة الأعراف ١٧٢٠

ثم قال :

« هذا طَعْمُ الخبز ، فكيف طَعْمُ النظر ؟ » .

قال : وسمعت ذا النون يقول - وقد وقف عليه رجل فسأله شيئاً -

فقال له ذو النون :

« إن كنتكُل برزقك غير مُتَّهِم عليك »

وعن إسراقيـل قال : سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال ، فقال

له ذو النون :

« قلبي لك مُقْفَلٌ ، فإن فُتِحَ لك فُجِبْتُكَ . وإن لم يُفْتَحْ لك فاعذرتي

وانَّهْمٌ متفَسِّكٌ » .

وقال :

وسئل عن السخلة ، فقال :

« مَنْ لا يسألني ما قال ولا ما قيل فيه » .

وقال :

« إن بلولي خمسة أشياء حُصِّنَ بها دون الناس :

الوجهُ الحسنُ ، والخلقُ الحسنُ ، والقلبُ الرحيمُ ، واللسانُ لطيفُ ،

واجتنابُ المحارمِ » .

وقال :

« إن الله يغفلُ أن يجمع بين أحبابه وأعدائه في دار ، قلذلك جعل

لكل فريق داراً » .

وعن يوسف بن الحسين الرازي ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« اعلّموا أن المحب لله لا يعظم عنده الإيثار . لأنه ليس شيء أعظم عنده من الله ، فينبغي أن يرى عليه أثر ذلك من رفض الدين ، لأنه من المحال أن يجتمع في القلب حب الدنيا وحب الله ، لأن من أحب الله لم ينظر إلى غيره » .
وقال :

« طُوبَى لمن تطهرَ ولزمَ الباب .. طُوبَى لمن تَضَمَّرَ للسَّباق .. طُوبَى لمن أطاع الله أيام حياته » .
وقال :

« مَنْ وَثِقَ بِالْمَقَادِيرِ اسْتَرَحَ » .
وروى محمد بن عبد الملك بن هاشم ، قال :
« سئل ذو النون ما لنا لا نقوى على التواضع ؟ »
فج :

« لَأَنْتُمْ لَا تُصَحُّونَ الْفَرَائِضَ » .
وقيل : من أدوم الناس قنباً ؟
قل :

« مَنْ أَحَبَّ دُنْيَا فَاتِيَةٍ » .
وقال ذو النون :

« إلهي .. لو أصبتُ موئلاً .. في الشدائد .. غيرك ، أو ملجأ .. في المنازل .. سواك ، لحق لي ألا أعرض إليه بوجهي عنك ، ولا أختارهُ عليك ، لتقويم إحسانك إليّ وحديثه .. وظاهر سِتِّكَ عليّ وبإصْنِها ، ولو تقطعتُ في البلاء إوياً إزباً ، وانصبتُ عليّ الشدائد صباً صباً ، ولا أجد مُسْتَكِيَّ غيرك ، ولا مُفَرِّجاً مُلَايِي عني سواك .. »

فيا وارث الأرض ومن عليها ، ويا باعث جميع من فيها ، ورث أمتي
فيك مني أمتي ، وبلغ همي فيك منتهى وسألي » .

وقال :

« اطلب الحاجة بلسان الفقر ، لا بلسان الحكم » .

وقال :

« استج من الله أن تسأله ما تحب وأن تأتي ما يكره » .

وقال .

« إن سرورك بالمعصية إذا ظفرت بها أشد من المعصية » .

وعن محمد بن عبد الله بن ميمون قال : سمعت ذا النون يقول -
وقد جاءه رجل يسأله أن يدعو له - فقال :

« إن كنت أبدت بصدق التوحيد في الغيب ، فكَمْ من دعوات سقت
لك ، وإن كان غير ذلك فأيُّ دعاء ينفعك ؟ » .

ويروى يوسف بن الحسين قائلًا :

بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم فخرجت من مكة قاصداً
إليه حتى وادعته في جيزة مصر . .

ومكث يوسف بن الحسين يخدم ذا النون سنة ، ثم قال له :

يا أستاذ ، أنا رجل عريب ، وقد اشتقتُ إلى أهلي ، وقد خدمتك
سنة ، وقد وجَّبتُ حتى عليك ، وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم
. . وقد جرَّنتني وعرفت أني أهل بذلك ، فإن كنت تعرفه فعلمني
إياه .

قال : فسكت ذو النون على ولم يجبى شيء وأوهمنى أنه لعله
يقول لى ويعلمنى ، ثم سكت عنى ستة أشهر ، فلم كان بعد ستة
أشهر - من يوم سألتى إياه - قال لى :

« يا أبا يعقوب .. لست تعرف (فلاناً) - صديقنا - بالفسطاط ،
انذى يجيئنا ؟ » . . . وسمى رجلاً

فلمب . نلى

قال : فأخرج إلى من بيته طبقاً فوقه مكنة مشدوداً عندى . . فقال
لى :

« أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط » .

قال فأحدث طبق لأؤديه ، فإذا طبق خفيف يدل على أن ليس
فى جوفه شيء . فلما بلغت الجسر - الذى بين الفسطاط والجيرة -
قلت فى نفسى : ذو النون يبعث إلى رجل بهدية ، وها أنا أرى طبقاً
خفيفاً . . لأبصرن أى شيء فيه .

قال فحللت المندى ، ورفعت المكنة ، فإذا فأرة قد قفرت من
الطبق فمرت .

قال : فاغتضت ، وقلت : إنما سخر بى ذو النون ، ولم يذهب
وهمى إلى ما أراد فى الوقت .

قال : فجئت إليه وأنا مغضب ، فلما رانى تبسم وعرف القصة ،
وقال :

« يا مجنون . انتمتلك فى فأرة فحشيتى . انتمتلك على سم الله
الأعظم ؟! .. ثم عنى ، فرتحل . . ولا أراك بعد هذا » .

ومن كلامه :

« لا يزال اعارفُ ما دام في دار الدنيا متردداً بين الفقر والفخر ، فإذا
ذكر الله افتخر ، وإذا ذكر نفسه افتقر »
وقال :

« سل ما بدا بك من أمره ونهيه .. وثق ذلك بالسليم والرضا
والخضوع .. ولا تنقب بعقلك عما قد أخفى عنك من أسرار ، مثل القدر
وغيره .. فإن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد »
يقول ذو النون :

« ثلاثة من علامة انوفيق :

الوقوف في عمل البر بلا استعداد له ، والسلامة من الذنب مع الميل
إليه وقلة الهرب منه ، واستخراج الدعاء والابتهال »

وقال يوسف بن الحسين :

سألت ذا النون :

ما علامة الأخوة ؟

قال :

« ثلاث : الصفاء ، والتعاون ، والوفاء ..

فابصفاء في الدين ، والتعاون في المواساة ، والوفاء في البلاء » .

وقال ذو النون :

« ثلاثة من أعلام الورع :

ترك الشبهة باحتمال المضرّة في المال والبدن ، وبذل الفضلة خوفاً
من دخول الخل في الفريضة ، والكفّ عن الفضول خشية قساوة
القلب .

وقال :

« ثلاثة من أعلام النُّقى :

مفارقة الذنب ، وسرعة الدمعة ، والانتفاع بالموعظة »

وقال :

« ثلاثة من أعمال الكمال :

تَرْك الجَوْلَان في البلدان^(١) ، وقلة الاغْتِبَاط بالنعماء عند الامتحان ،

وصفّو النفس في السر والإعلان .

وقال :

« ثلاثة من أعلام المحبة :

الرضا في المكروه ، وحسن الظن في المجهول ، وحسن الاختيار في

المحذور .

« وثلاثة من أعلام الصواب :

الأنس به في جميع الأحوال ، والسكون إليه في جميع الأعمال ،

وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال .

« وثلاثة من أعمال اليقين :

النظر إلى الله - تعالى - في كل شيء ، والرجوع إليه في كل أمر ،

والاستعانة به في كل حال .

(١) أي : لغير غرض صحيح

« وثلاثة من أعمال الثقة بالله :

السخاء بالموجود ، وترك الطلب للمفقود ، والاستجابة إلى فضل الموجود .

« وثلاثة من أعمال الشكر :

المقارنة من الإخوان في العمة . واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية ، واستقلال اشكر للملاحظة المنة .

« وثلاثة من أعلام الرضا :

ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المرارة بعد القضاء ، وهيجان الحب في حشو البلاء .

« وثلاثة من أعمال الأُنس بالله :

استلذاز الحلوة ، والاستيحاش من الصحبة . واستحلاء الوحدة .

« وثلاثة من أعلام حسن الظن بالله :

قوة القلب، وقُسحة ارجاء في الزلَّة، ونفي الإياس بحسن الإجابة .

« وثلاثة من أعلام الشوق :

حبُّ الموت مع الراحة ، وبُغضُ الحياة مع الدَّعة ، ودوامُ الحزن مع الكفاية .

وقال ذو النون :

« ثلاث من علامات الخوف :

الورع من الشبهات ملاحظةً للوعيد ، وحفظ اللسان مراقبةً لنظر العظيم ، ودوام الكمد إشفاقاً من غضب الحليم .

« وثلاث من علامات الإخلاص :

استواء المدح والدم من العامة . ونسيان رؤسهم في الأعمال نظراً
إلى الله ، واقتضاء ثواب العمل في الآخرة بحسن عفو الله »
« وثلاثة من أعلام الخمول :

ترك الكلام لمن يكفيه الكلام . وترك الحرص في إظهار العلم عند
القرناء . ووجدان الألم لكراهة الكلام عند مخالفة الرأي ، والاحتمال عن
الورى إختائاً (١) للرب ، ونسيان إساءة المسيء عفواً عنه ، واتساعاً
عليه »

« وثلاثة من أعلام التقوى .

ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها . والوفاء بالصالحات مع
نفور النفس منها ، وردُّ الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها »
« وثلاثة من أعلام الاتعاض بالله :

الهرب إليه من كل شيء ، وسؤال كل شيء منه ، والدلال في كل وقت
عليه » .

« وثلاثة من أعلام الرجاء .

العبادة بحلاوة القلب ، والإنفاق في سبيل الله برؤية الثواب ،
والمثابرة على فضائل الأعمال بخالص التناقص »

« وثلاثة من أعلام الحب في الله :

بذل الشيء لصفاء الود ، وتعطيل الإرادة لإرادة الله ، والسخاء
بأنفس ، والمشاركة في محبوبه ومكروهه بصحة العقد » .

(١) لاحات احشوع

« وثلاثة من أعلام الحياء :

وَزَنُّ الكلام قبل التقوُّه به ، ومُجَانِبَةُ ما يحتاج إلى الاعتذار منه ،
وتَرْكُ إجابة السفيه حِلْماً عنه » .

قاما الحياء من الله - تعالى - فهو ما قال الرسول - عليه الصلاة
والسلام - :

« أَنْ لَا تُفْسِدَ المقابرَ والبِلَى ، وأن تحفظ الرأس وما حَوَى، وأن تترك
زينةَ الحياة الدنيا » .

« وثلاثة من أعلام الأفضال .

صلةُ القاطع ، وإعطاءُ المانع ، والعفوُ عن الظالم »
« وثلاثة من أعلام الصدق :

مُلازمةُ الصادقين ، والسُّكُونُ عند نظر المنفوسين ، ووجدانُ الكراهة
لاطلاع الخلق على السرائر ، واستقامة على الحق سرّاً وجهرّاً لإيثار
رب العالمين » .

« وثلاثة من أعلام الانقطاع إلى الله :

تقديم العلم ، وتلقين الحكم ، وتاليل الفهم^(١) »
« وثلاثة من أعلام المروءة :

إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، ونشر الخلق أحسن » .
« وثلاثة من أعلام التودد :

النائي في الأحداث ، والنوَّفر في الرِّلَّات^(٢) ، والبرُّق في المقال » .

(١) أي تحديد الفهم

(٢) أي المصاحبة عبد الشدائد

« وثلاثة من أعلام التسليم :

مقابلة القضاء بالرضاء، والصبر عند البلاء، واسسكر عند الرضاء »

« وثلاثة من أعلام الإيمان :

إسباغ الطهارات ، ورتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديسها ،
والبوبة عند كل ذنب خوف من الإصرار » .

« وثلاثة من أعلام حسن الخلق :

قلة الخلاف على المعاشرين ، ونحسين ما برء عليه من أخلاقهم ،
والرام النفس اللائمة فيما يخلفون فيه كفاً عن معرفه عيوبهم » .

« وثلاثة من أعلام الرحمة بلخلق :

بكاء القلب لليتيم والمسكين ، وفقدان الشمانة بمصائب المسلمين ،
وبدل انصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم ، وإرشدهم إلى صالحهم ،
وإن جهلوه وكرهوه » .

« وثلاثة من أعلام الاستغناء بالله :

التواضع للفقراء المتذللين ، والتعظم على الأغنياء المتكبرين ، وترك
المعاشرة لأبناء الدنيا المستكبرين » .

« وثلاثة من أعلام الحياء :

وجدان الأتس بفقدان الوحشة ، والامتلاء من الخلوة بإدمان التفكر ،
واستشعار الهبة بخالص المراقبة » .

« وثلاثة من أعلام المعرفة :

الإقبال على الله ، والانقطاع إلى الله ، والافتخار بالله » .

« وثلاثة من أعلام الرُّشد :

حسن المحاوره ، والنصح عند المشاورة ، والبرُّ في المجاورة » .

« وثلاثة من أعلام السعادة :

الفقه في الدين ، والتيسير للعمل ، والإخلاص في السعي » .

« وثلاثة من أعلام إصلاح في الغنى .

الزهد في الحرام تاركاً له ، وإخراج الحقوق من المال أدءً بلفرض فيه ، والتواضع لجميع الناس خوفاً من المكر »

« وثلاثة من أعلام الصُّلاح في الفقر :

القناعة بما قُدِّرَ له من الرِّق ، وطلاقة الوجه إظهاراً للشكر عن النعم ، وترك التواضع للمكثر طمعاً فيه » .

« وثلاثة من أعلام حب الآخرة :

كثرة البكاء والذكر لها ، ودوام الشوق لها ، وبغض الدنيا من أجلها»

« وثلاثة من أعلام اليقين :

قلّة المحالفة للناس في العشره ونرك المدح لهم في العطية و لتنزّه عن ذمّهم في المنع والرؤية » .

« وثلاثة من أعلام التَّوَكُّل .

نقض العلائق ، وترك التملُّق في العلائق ، واستعمال الصدق في العلائق »

« وثلاثة من أعلام الصبر .

النَّبَاعِدُ عَنْ لُحْلُطَاءٍ فِي الشَّدَةِ ، وَاسْكُونِ عَلَيْهِ مَعَ تَجَرُّعِ غُصَصِ
الْبَلِيَّةِ ، وَاضْطِهَارِ الْغَنَى مَعَ حُلُولِ الْفَقْرِ بِسَاحَةِ الْمَعِينَةِ «
« وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الزُّهْدِ :

قَصْرُ الْأَمَلِ ، وَحُبُّ الْفَقْرِ ، وَاسْتِفْعَاءُ مَعَ صَبْرٍ «
« وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْعِبَادَةِ :

حُبُّ اللَّيْلِ لَيْسَهَرٍ بِالْتَّهَجُّدِ وَالْخُلُوءِ ، وَكَرَاهَةُ الصَّبِيحِ لِرُؤْيَا النَّاسِ
وَالْغَفْلَةِ ، وَالْبَذَارُ بِالصَّالِحَاتِ « .
وَيَكْرَهُ أَنْ يُعَدَّ مِنْ ثَلَاثِيَّاتِهِ مَا حَدَّثَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَرَحِي ،
قَالَ

سَمِعْتُ دَا النُّونَ يَقُولُ :

« مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ الْفِكْرَةُ ، وَعَلَامَةُ الْهَوَى مَنَابِعَةُ الشَّهَوَاتِ ، وَعَلَامَةُ
التَّوَكُّلِ انْقِطَاعُ الْمَطَامِعِ « .

وَبُرَوِّى عَبْدِ الْقَدُوسِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ :
قِيلَ لِأَبِي الْمُبَيْضِ ذِي النُّونِ :
- كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟

قَالَ :

« أَصْبَحْتُ تَعَبًا إِنْ تَفَعَّنِي تَعَبِي ، وَالْمَوْتُ بَحْدٌ فِي طَلَبِي « .

وَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟

وَقَالَ :

« أَصْبَحْتُ مُقِيمًا عَلَى ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ ، فَلَا أَدْرِي مِنَ الدُّنْبِ أَسْتَغْفِرُ .. أَمْ

عَنِ النِّعْمَةِ أَسْكُرُ ؟ « .

وقيل له : كيف أصبحت ؟

قال :

« أَصْبَحْتُ بَطْلاً عَنْ الْعِبَادَةِ . مَتَلَوْتُ بِالْمَعَاصِي .. أَتَمَنَّى مَنَازِلَ
الْأَبْرَارِ ، وَأَعْمَلُ عَمَلَ الْأَشْرَارِ » .

وَأَرْسَلَ الْوَلَدُ بْنُ عَتَمَةَ لِدَمَشْقَى إِلَى ذِي النُّونِ كِتَاباً يَسْأَلُهُ فِيهِ عَنْ
حَالِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

« كُنْتُ إِلَى تَسْأَلِنِي عَنْ حَالِي ، فَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَخْبِرَكَ بِهِ مِنْ حَالِي
وَأَنَا بَيْنَ خِلَالِ مَوْجَعَاتٍ ؟ ..

أَبْكَانِي مِنْهَا أَرْبَع :

حُبٌّ عَيْبِي لِلنَّظَرِ .. وَبِسَانِي لِلْفُضُولِ ، وَقَلْبِي لِلرِّيَاسَةِ .. وَإِجَابَتِي
إِبْلِيسَ - لَعْنَهُ اللَّهُ - فِيمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ .

وَأَقْلَقْنِي مِنْهَا أَرْبَع :

عَيْنٌ لَا تَبْكِي مِنَ الذُّنُوبِ الْمُنْتَنَةِ ، وَقَلْبٌ لَا يَخْشَعُ عِنْدَ فُزُولِ الْعِظَةِ
وَعَقْلٌ وَهْنُ فَهْمُهُ فِي مَحَبَّةِ الدُّنْيَا ، وَمَعْرِفَةٌ كُلَّمَا قَبِلَتْهَا وَجَدْتَنِي بِاللَّهِ
أَحْمِلُ .

وَأُضْنَانِي مِنْهَا أَرْبَع :

أَنْتَى عَدِمْتُ خَيْرَ خِصَالِ الْإِيمَانِ الْحَيَاءِ .. وَعَدِمْتُ خَيْرَ زَادِ الْآخِرَةِ
التَّقْوَى .. وَفَنَيْتُ أَيَّامِي بِمَحَبَّتِي لِلدُّنْيَا ، وَتَضَيَّعِي قَلْبًا لَا أَقْتَنِي مِثْلَهُ
أَبَدًا » .

وسأله بعضهم عن حاله فقال :

« ما لى حالّ أرضاهما ، ولا حالّ أَرْضاهما .. كيف أَرْضى حالى لنفسى

وإنّما لا أبقى بما أَراد منى ؟ ! »

.. ثم كيف لا أَرْضى حالى ولا يكون منى إلا ما راد من الأحوال ؟ !

ولست أدري أيهما أحسن ؟ .. حُسْنُ حالى فى إحسانه إلیّ ، أم حُسْنُ

حالى فى سوء حالى : إذ كان هو المختار لى ؟ ! » .

وقال

« عَنْ وَثْقٍ بِالْمَعْنَى اسْتِراح ، وَمَنْ تَقَرَّبَ قَرَب ، وَمَنْ صَفَا صَفَى لَهُ » .

والحق - فى نظر دى الـو - لا يمكن وصفه إلا بصفات السلب .

ولذا يقول :

« كُلُّ ما تَصَوَّرَ فى وَهْمِكَ فَالِلهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ » .

وقال :

« مَنْ أَرَادَ التَّوَاضُعَ : فَلْيُوجِّهْ نَفْسَهُ إِلَى عَظَمَةِ اللَّهِ .. فَإِذَا مَذُوبٌ

وَتَصَنُّو .

.. وَمَنْ نَظَرَ إِلَى سُلْطَانِ اللَّهِ دَهَبَ سُلْطَانُ نَفْسِهِ : لِأَنَّ النُّفُوسَ كُلَّهَا

فَقِيرَةٌ عِنْدَ هَيْبَتِهِ » .

وقال :

« احْذَرُ أَنْ تَنْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ فَتَكُونَ مَخْدُوعاً .. وَكُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَى عِطَانِهِ

وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ فَهُوَ مَخْدُوعٌ » .

وقال :

« أهل القرآن هم الذين أنصبوا الأعداء حتى فحلت أبدانهم ، ونزلت شفاههم ، وهمت عيونهم » .

رصى الله عن دى النون ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا
محمد - انصاح لما أُعْلِقَ ، والخاتم بما سَقَ - وعلى آله وصحبه
أجمعين

* * *

مراجع الكتاب

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أخبار العارفين لابن باكويه .
- ٣- خبر العلماء بأخبار الحكماء لعلي بن يوسف القمى .
- ٤- تاريخ ابن عساكر .
- ٥- الجامع لصحيح للترمذى .
- ٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للمحافظ أبى نعيم الأصبهاني .
- ٧- السر المكتون فى مناقب ذى النون لجلال الدين السيوطى .
- ٨- السنن الكبرى للبيهقى .
- ٩- شعب الإيمان للبيهقى .
- ١٠- صحيح البخارى .
- ١١- صحيح مسلم .
- ١٢- طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى .
- ١٣- الطبقات الكبرى للإمام الشعرايى .
- ١٤- عوارف المعارف للسهروردى .
- ١٥- الكواكب الدرية للمناوى .
- ١٦- مجموعة ما ترجم عن المستشرق « نيكسون »
- ١٧- محاسن التأويل لحمد الدين القاسمى .
- ١٨- المسند للإمام أحمد بن حنبل .
- ١٩- الموطأ للإمام مالك بن أنس .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● مقدمة	٩
● حياته	١٩
- من كلام شيخه « شقران العابد »	٢٥
- ومن كراماته	٢٦
● محنته	٣١
● وفاته	٤١
● لمحدث المتبع للسنة	٤٣
● ذوالنون العالم	٤٩
- تقديره ليعلم	٥٦
● الصوفي	٦١
- الصومية	٦١
- الطريق	٦١
- التوبة	٦٤
- المرید	٦٥
- الذكر	٧٠
- الورع	٧٤
- الرهد	٧٧
- التوكل	٧٩

- ٨٤ - الرصا
- ٨٥ - المعرفة
- ٨٨ - المحبة
- ٩٠ - ابود
- ٩١ - الأس
- ٩٢ - الشوق
- ٩٥ - الحلوة
- ٩٦ - سر الملكوب
- ٩٩ • صاحب الكرامات
- ١٠١ • السائح
- ١٠٥ - يا أمل المؤمنين
- ١٠٥ - إذا اعتللت فلا تجعل علّتك إلى مخلوق مثلك
- ١٠٦ - إن المحب هو الصبور
- ١٠٧ - من يرح النحاة يحتهد
- بين جبال اشام:
- ١٠٨ - يا من استأس به المحتهدون فوحدوه سريعاً محباً
- في بلاد العرب:
- ١٠٨ - لا تترك الزاد ليوم معادك
- ١٠٩ - في بلدة شاهرت
- ١١٠ - في تيه بنى إسرائيل
- ١١٢ - على شاطئ نيل مصر

- ١١٢ - في مقبرة البصرة
- ١١٤ - سياحة في طلب المباح
- ١١٤ - في بيت الله الحرام
- ١١٥ - في بعض سياحاته
- ١١٨ - في نواحي الشام
- ١١٨ - في بعض سياحاته
- ١١٩ - على جبل المقطم
- ١٢٠ - في التيه
- ١٢٠ - في جبل نيسان
- ١٢١ - في جبال بيت المقدس
- ١٢٢ - في جبل لبنان
- ١٢٢ - على شاطئ غدير
- ١٢٣ - حديث مع بعض متعبدى العرب
- ١٢٤ - سبحانه ما أمهله بالأنام
- ١٢٤ - أطع الله إذا خلوت يُجبك إذا دعوت
- ١٢٥ - من استغنى بالله أمن من العدم
- ١٢٦ - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
- في اليمن:
- ١٢٦ - علامة الخوف من الله
- في المغرب:
- ١٢٨ - القرآن حديثه والذكر رفيقه

- ١٢٩ بم عرفت الله
- ١٣٠ إن لله عبادةً لو أقسموا على الله لأبرههم
- ١٣١ كيف السخاء؟
- ١٣٢ كل مطيع مستأنس
- ١٣٣ سبحانه ما أمهله للأنام !
- في بلاد الشام :
- ١٣٣ سبحانه من أذاق قلوب العارفين حلاوة الانقطاع إليه
- ١٣٥ ● المتاجي
- ١٦٥ ● الواعظ
- ١٧٩ ● الحكيم
- ٢٠١ ● متناثرات وطرائف
- ٢١٧ ● مراجع الكتاب
- ٢١٩ ● فهرس محتويات الكتاب





عربية للطباعة والنشر

7 & 10 شارع السلام أرض النوا المهتدين

تليفون : 3256098 - 3251043

* يتناول هذا الكتاب حياة واحد من أهم رجال التصوف الإسلامي ، بل قطب كبير من أقطابهم .. إنه « ذو النون المصري » : العارف بالله ، والعالم العابد ، والورع الزاهد ، والمتوكل السالِح ، والمناجى البليغ ، والواعظ الحكيم ، والولي الكبير صاحب الكرامات ، والمحدث المتبع للسنة ، ذو العبارات الوثيقة ، والإشارات الدقيقة ، والصفات الكاملة ، والنفس العائنة العاملة ، والمحاسن الجزيلة ، والأقوال والأفعال الحميدة الجليلة ، الذي زهت به مصر وديارها ، وأشرق بنوره ليها ونهارها .

* ويشتمل الكتاب على دراسات مهمة عن حياة ذي النون المصري وعلاقته بالحكام وذوى النفوذ والسلطان ، وموقفه من الفقهاء ، ومعاملاته مع المريدين وغيرهم ، وآرائه وتأملاته ونظراته العميقة حول الذكر والورع والزهد والصبر والتقوى والرضا والتوكل والاجتهاد والسياسة والطاعة والاستغناء بالخالق عن المخلوق ، والخوف من الله والانقطاع إليه والأمل فيه ، والمعرفة والمحبة والود والأنس والشوق والخلوة والأحوال والمقامات وأسرار المكوث ... إلى غير ذلك مما يهم المسلم الراغب في معية الله الودود الرحيم .

* ودار الرشاد إذ تقدم إلى جماهير القراء في مصر والعالم العربي والأمة الإسلامية كتاب « ذو النون المصري » لفضيحة الدكتور عبد الحليم محمود .. تدعو الله العلى القدير أن ينفع به المؤمنين ، وأن يهدي به غيرهم إلى سبيله القويم ، وأن يتقبله خالصاً لوجهه الخالد الكريم .

الناشر

عصام رشاد

دار المصنف